

روحانية صائغ

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	فهرس الموضوعات	الحلقة	م
٤	المقدمة		١
٧	استقبال رمضان	الأولى	٢
١٥	لماذا نصوم	الثانية	٣
٢٢	كيف نصل إلى الهدف	الثالثة	٤
٢٧	حقيقة الروح	الرابعة	٥
٣٣	مشاعر الروح	الخامسة	٦
٣٩	حياة الروح (الصلاة)	السادسة	٧
٤٧	رمضان شهر القرآن	السابعة	٨
٥٥	كيف كانوا يقرؤون القرآن	الثامنة	٩
٦٢	المنهج الصحيح في قراءة القرآن وحفظه	التاسعة	١٠
٧٠	الصدقة في رمضان	العاشرة	١١
٧٨	نحن ورمضان والتغيير	الحادية عشر	١٢
٨٦	خطوات عملية للتغيير	الثانية عشر	١٣
٩٢	حال السلف الصالح في رمضان	الثالثة عشر	١٤
١٠٠	توبة صائم	الرابعة عشر	١٥
١٠٨	صور من حياة التائبين	الخامسة عشر	١٦

روحانية صائم

١١٥	طريقنا إلى التوبة	السادسة عشر	١٧
١٢٥	حوار مع تائب	السابعة عشر	١٨
١٣٢	روائع الأسحار	الثامنة عشر	١٩
١٣٨	صور من روائع الأسحار	التاسعة عشر	٢٠
١٤٤	قيام الليل	العشرون	٢١
١٥١	فضل العشر الأواخر	الحادية والعشرون	٢٢
١٥٨	روحانية معتكف	الثانية والعشرون	٢٣
١٦٦	المحرومون في رمضان	الثالثة والعشرون	٢٤
١٧٥	يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة	الرابعة والعشرون	٢٥
١٨٢	الفائزون في رمضان	الخامسة والعشرون	٢٦
١٩٠	ميلاد جديد	السادسة والعشرون	٢٧
١٩٧	وسائل الثبات على دين الله	السابعة والعشرون	٢٨
٢٠٤	مشاعر مودع	الثامنة والعشرون	٢٩
٢١١	غداً تشرق شمس العيد	التاسعة والعشرون	٣٠
٢١٧	أهازيج العيد	الثلاثون	٣١
٢٢٤	دليل الألوان والخطوط		٣٢

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً .

فهذه ثلاثون مجلساً من مجالس رمضان لاقت بفضل الله قبولاً حسناً لدى المستمعين لها، وألح الكثير منهم على طباعتها في كتاب لتعم الفائدة، فأحببت أن أنشرها تلبية لرغبتهم، ولتكون عوناً لهم على الصيام وتحقيق ثمرته التي من أجلها فرضه الله، ولتكون - أيضاً - عوناً للأئمة في التوجيه خلال ليالي وأيام رمضان، وقد راعيت فيها التسهيل والتيسير، وابتعدت عن التعقيد ما أمكن؛ لأن الفئة التي تخاطب هذه المجالس هي عامة الناس، فهم بحاجة إلى أسلوب سهل ميسر، قريب لأذهانهم، يفهمونه بسهولة .

كما أنني لم أسهب في الكلام، بل أحسب أنني قدمت المختصر النافع المفيد، ليكون أكثر فائدةً وفهماً وقراءة؛ لأن طول الموضوع أصبح عائقاً من عوائق القراءة - لدى الكثير - في عصرٍ ضعفت فيه الهمم، فهي أشبه ما تكون بوجبات خفيفة سريعة الهضم والفهم. (هل زيد أن تعرفه كيفه نقرأ امض إذا... إستمع)

وذكرت فيها كثيراً من الوسائل التي تعين على استثمار رمضان بروحانية الصائم العابد. وأشرت لكثير من المواقف والقصص المؤثرة للسلف والخلف في هذا الباب والذين كانوا يعتبرون رمضان فرصة عظيمة للتقرب إلى الله، وتربية الذات، والإقلاع عن الذنوب والمعاصي ، خاصة قصص التائبين والتائبات، ونصائح

روحانية صائمه

ووسائل مهمة لثباتهم على طريق الاستقامة، ولم أكثر من الأحكام لوجود كتب في الساحة تعالج هذا الشأن، ولكني ركزت أكثر على إصلاح الباطن، ومخاطبة القلوب، مستغلاً مشاعرهما التي تصل إلى أوجها في رمضان .

وحرصني على أعمال القلوب، وحياتها، وسلامتها من الشبهات والشهوات، ومعالجة أدوائها، نابع لما يحتل هذا الباب من المكانة في الإصلاح والإصلاح، فمدار النجاة بحسب صلاح القلب، كما أن الهلاك بحسب الأمراض الموجودة في القلب، ومن الأمراض ما يكفيه لخسرانه في الدنيا والآخرة، ومنها ما يمنعه من بلوغ الدرجات العلى وإن لم يهلكه، فأمرض القلب أضرارها مختلفة ومتفاوتة، قال ﷺ: ((وإنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَّا وَهِيَ الْقَلْبُ))^(١).

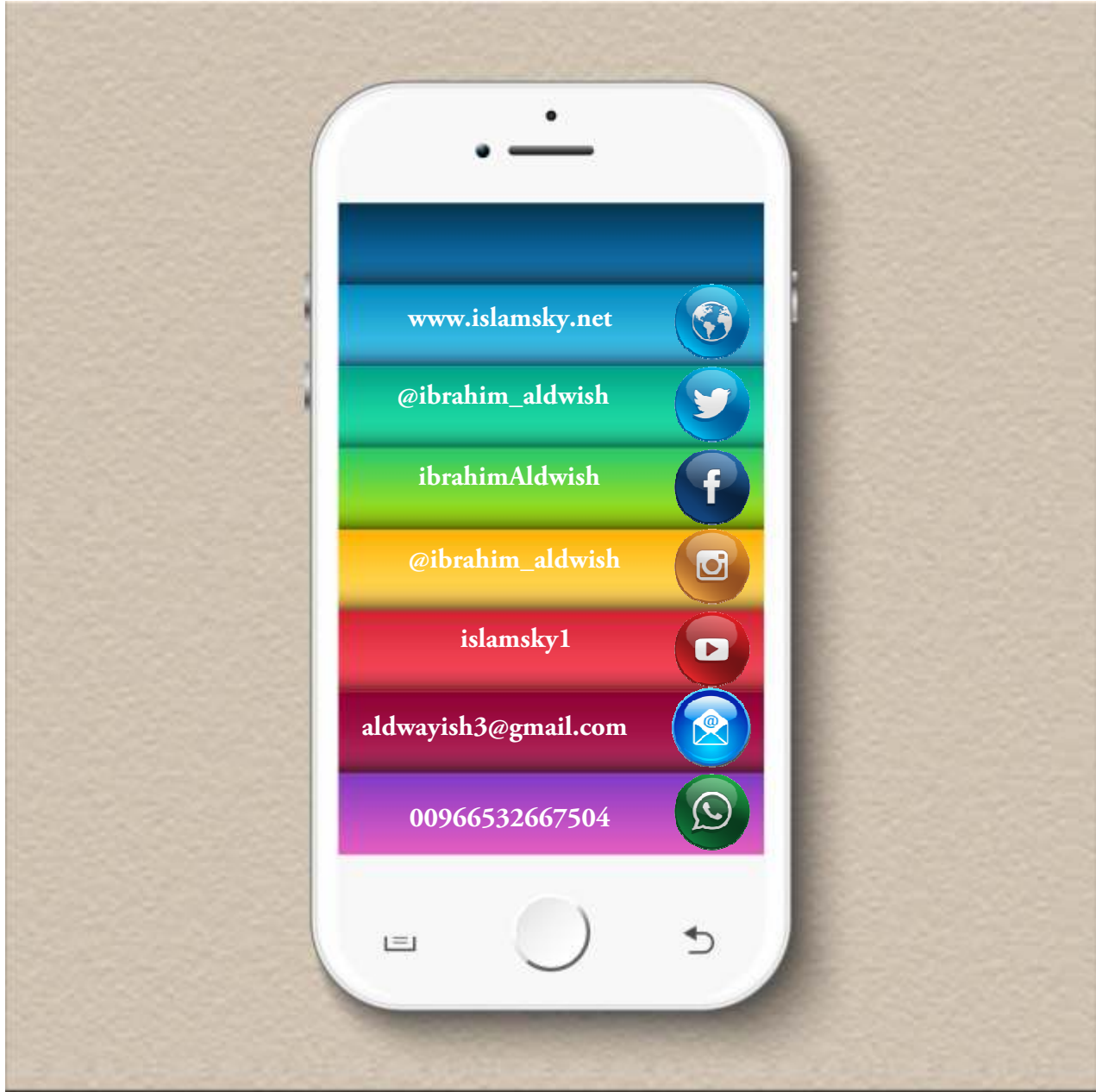
"رحم الله امرءاً أهدى إلي عيوبى" فالمرجو من القراء الفضلاء الذين يطلعون على خطأ وخلل فيها، والذي لا يخلو منه جهد البشر، مهما تمعن ونظر، أن يتفضلوا بإرسال ملحوظاتهم وتصويباتهم، فأكون لهم من الشاكرين والمقدرين، وأقبلها بصدر رحب، ولعلي أستدرك الأخطاء في الطبقات القادمة بميشئة الله تعالى . وصلى الله وسلم على رسولنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

محبكم

د. إبراهيم بن عبد الله الدويش

^(١) جزء من حديث رواه البخاري في الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه. ومسلم في المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات .

للواصل مع المؤلف



روحانية صائغ

(I)

استقبال رمضان

شاهد

الحمد لله الذي كتب علينا الصيام، وفرضه في رمضان، وأشهد أن لا إله إلا الله القائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَيْهِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لِمَا كُمْ لَلْفُؤُونِ﴾^(١). والصلاة والسلام على خير من صام وقام، القائل: ((لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِفَاءِ رَبِّهِ))^(٢)، والقائل: ((إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرِّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مَعَهُمْ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ))^(٣).

أما بعد: فأهنئ كل مسلم ومسلمة بهذا الشهر الكريم، وأسأل الله - تعالى - أن يجعله هلال خير ورشد، وأمن وأمان، وسلامة وإسلام، على أمة الإسلام في كل مكان، وأن يوفقنا فيه للصيام والقيام وسائر الأعمال.


روحانية صائم (ما رأيكم ان نستمع إلى المحاضرة { روحانيات صائم }) فيها الأرواح تهتز وترتاح، وتطير بغير جناح، فهي في أفراح وأفراح. روحانية صائم: عاش صاحبها في جنة الدنيا، وفي الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة. (للإستماع إلى محاضرة جنة الدنيا تفضل)

(١) سورة البقرة [١٨٣].

(٢) جزء من حديث رواه البخاري في الصوم، باب هل يقول إني صائم. ومسلم في الصيام، باب فضل الصيام.

(٣) جزء من حديث رواه البخاري في الصوم، باب الريان للصائمين. ومسلم في الصيام، باب فضل الصيام.

روحانية صائم

عباد الله! فهاهو رمضان أشرف الشهور، قد أقبل بعد طول غياب، وجاء بعد شوق عظيم، أتى رمضان سيد الشهور، فمرحبا به وأهلاً، أهلاً بشهرنا العظيم  ، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾^(١)، شهر الذكر والصيام، شهر التوبة والغفران، شهر العتق والرحمة والمغفرة.

أقبل هذا الشهر ليقول للكون.. كل الكون، ويقول للدنيا كل الدنيا: أنا شهر العزة والكرامة للمسلمين، جئت لأوحد الكلمة، وألئم الشمل، ولو بمظهر العبادة والزمان، ولو كره الكافرون .

أقبل رمضان ليقول لكل مسلم: ذق أثر الجوع ولو لساعات، لعلك تشعر بإحساس إخوان لك أضربهم الجوع لسنوات. أقبل هذا الشهر ليقول للعصاة والمذنبين الغافلين والتائبين: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢)

أقبل رمضان ليضعف الشهوة وسواس الشيطان، وليربي القلب؛ فتزكو النفس، وتشرق الروح 

 أقبل رمضان بأيامه البيض ليمحو بها صفحاتنا السود

١ سورة البقرة [١٨٥]

٢ سورة الأعراف [٥٦].

أقبل رمضان ليكون سلوةً للنفوس، وأنسا للقلوب، وروضةً للعقول، ولبسما للهموم،
وعزاءً لمن تلتخ بأوحال المعاصي

فأبشروا يا أهل الصيام، وأملوا يا أهل القيام، بما يسركم من الغفور العلام،
أبشروا يا أهل القرآن، أبشروا يا أهل الصدقات، ويا أهل المروءات والخيرات، أبشروا يا
من تحرصون على تفتير الصائمين، ويا من تقومون على الأرملة والمسكين! أبشروا
برحمة أرحم الراحمين، فهنيئاً للسابقين بالخيرات، وهنيئاً للذين يجاهدون أنفسهم
ويصبرون على الطاعات هنيئاً لهم بمرضان

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ: ((الصلوات الخمس، والجمعة إلى
الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفّرات ما بينهنّ، إذا اجتنب الكبائر))^(١).

أليست هذه بشائر؟ فإن عاتقاً حمل طوال العام هموماً وغموماً، وأحزاناً
وآلاماً، ومعاصي وذنوباً، لعاتقٌ منهكٌ ضعيف، يحتاج إلى العون والنصرة، وهل يكون
ذلك إلا من ناصر المستضعفين، الغفور الرحيم، التائب على التائبين .

يا صائماً ترك الطعام تعافياً أضحى رقيق الجوع والأواء
أبشّر بعيدك في القيامة رحمةً محفوفةً بالبر والأنداء

معاشر المسلمين! كم هو سعيد ذلك العبد، حينما يلقي عن عاتقه هذه
الهموم والغموم، وحين تغمره رحمة أرحم الراحمين، فيكون من المعتقين .

(١) رواه مسلم في الطهارة، باب الصلوات الخمس.. ورمضان إلى رمضان مكفّرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر.

فكن في هذا الشهر العظيم قريباً من رب العالمين، أقبل على الطاعة، وأكثر من العبادة، فقد كان من هديه ﷺ في شهر رمضان الإكثار من أنواع العبادات؛ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ ((أَجُودَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجُودَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ. يَعْرِضُ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- كَانَ أَجُودَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ))^(١).

(تعالوا احبتي نستمتع سوياً إلى محاضرة رمضان شهر أجود)

ها هو رمضان حلّ، فكيف سيكون حالنا فيه؟ وكيف حال الأمة؟ وهل من وقفة صادقة للمحاسبة؟ هل من وقوف جاد للتأمل؟ وما مراسم الاستقبال لهذا الوافد العظيم؟

أقبل رمضان، وقد كان رسول الله ﷺ يبشر أصحابه بقدوم رمضان فيقول لهم: ((أَنَاكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تَفَتَّحَ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتَغَلَّقَ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتَغَلَّقَ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ))^(٢). وقال ﷺ: ((إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَا يَجْرَمُ خَيْرَهَا إِلَّا مَحْرُومًا))^(٣).

(١) رواه البخاري في الصوم، باب أجود ما كان النبي يكون في رمضان. ومسلم في الفضائل، باب جوده ﷺ.

(٢) رواه النسائي في الصيام، باب فضل شهر رمضان. وأحمد. وصححه الألباني في صحيح النسائي.

(٣) رواه ابن ماجه في الصيام، باب ما جاء في فضل شهر رمضان. وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه.

روحانية صائمه

وقال مُعلَى بن الفضل: **كان السلف يَدْعُونَ الله سنّة أشهر أن يُبلِغهم رمضان! ثم يدعون سنّة أشهر أن يتقبل منهم.**

وقال يحيى بن أبي كثير: **((كان من دعائهم: اللهم سلمني إلى رمضان، وسَلِّمْ لي رمضان، وسَلِّمْهُ مني متقبلاً))**.

وباع قوم من السلف جارية، فلما قرب شهر رمضان رأتهم يتأهبون له، ويستعدون بالأطعمة وغيرها! فسألتهم فقالوا: **((تنهياً لصيام رمضان. فقالت: وأنتم لا تصومون إلا رمضان؟! لقد كنت عند قوم كل زمانهم رمضان، رُدوني إليهم))**.

هكذا كان استقبال السلف لرمضان (للمزيد استمع الى محاضرة إستقبال رمضان وتحقيق **ثمرته**) إن رمضان له طعم خاص، ولذّة عجيبة في النفوس، فهو يبعث فيها قوة الإيمان، والشجاعة، والعزة والكرامة؛ ولهذا حصلت فتوحات عظيمة للنبي ﷺ وللمسلمين في رمضان! أتدرون لماذا؟ إنها حياة الروح؛ حتى وإن كانت البطون خاويةً، والشفاهُ يابسةً؛ فالحياة حياة الروح، حياة القلب، والانتصار على النفس، وعلى الشهوات، ومن انتصر على نفسه انتصر على الأعداء.

في الصيام حلاوة لا يدركها إلا من صام من أجل الله بصدق، ولا يعرفها إلا الذين خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم بحق. وهذه هي اللذة العجيبة التي يجب أن نحياها في

رمضان: صيام وقيام، وخشوع وخضوع، راحة وسعادة، أفراح وأشواق، لا يستطيع وصفها لسان أو بيان .

إنها جنة الدنيا، وفي الدنيا جنة من لا يدخلها لا يدخل جنة الآخرة^(١)، وجنة الدنيا يوم يتخلص العبد من أسر الهوى والشهوة، وحيل النفس والشيطان، وتنطلق الروح من الأسر:

أَطْلِقِ الْأَرْوَاحَ مِنْ أَصْفَادِهَا فِي بَهِيْجٍ مِنْ رِيَاضِ الْأَتْقِيَاءِ
أَيُّ سُلْطَانٍ يَكْفُؤُ النَّفْسَ عَنْ مُؤَبَّقَاتٍ غَيْرِ قَيْدٍ كَالْوَجَاءِ
إِنَّهُ الصَّوْمُ الَّذِي أَوْحَى بِهِ رَحْمَةً بِالنَّاسِ - رَبُّ الْحِكْمَاءِ
فِيهِ تَرْوِيضٌ لَطَبْعٍ جَامِحٍ فِيهِ رَوْحٌ فِيهِ لِلْمَرْضَى شِفَاءٌ^(٢)

عباد الله! إن الغاية الأولى، والهدف الأسمى، من صيام رمضان هو: إعداد القلوب للتقوى، وإعداد القلوب لخشية الله ومراقبته 🐦؛ فالصوم يجعل القلوب لينة رقيقة، يجعلها ذات شفافية وحساسية، يجعلها وجة حية. فالصوم يوقظ القلوب، والإسلام لا يقود الناس بالسلاسل إلى الطاعات، إنما يقودهم بالتقوى، ومراقبة الله .

(١) انظر: صحيح الوابل الصيب، (٩٣).

(٢) الأبيات مختارة من قصيدة (إرهاق للإحساس) لمحمد صان الدين، نقلاً عن فقه الصوم، للعفاني .

ومن أعظم ثمار الصيام: تربية القلوب على مراقبة الله، وتعويدها على

الخوف والحياء منه .

يقول القسطلاني - رحمه الله - مبيِّناً لثمرات الصوم، ومنها: "رقة القلب،

وغزارة الدمع، وذلك من أسباب السعادة؛ فإن الشبه مما يذهب نور العرفان، ويقضي بالقسوة والحماة"^(١).

وفي الصيام كسر للنفس، وتخليه القلب للذكر والفكر، والصيام يضيق مجاري

الدم التي هي مجاري الشيطان من ابن آدم؛ ((فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى

الدَّمِّ))^(٢)، فتسكن بالصيام وساوس الشيطان، وتنكسر سورة الشهوة والغضب.

رمضان شهر التوبة والغفران، شهر تُغلق فيه أبواب النيران، وتُفتح الجنان،

وتُصَفَّد الجنان، فدونك نفسك أيها الإنسان! لقد سُلسِلَ الشيطان، وخمدت نيران

الشهوات بالصيام، فانعزل سلطان الهوى، وصارت الدولة للعقل ليحكم بالعدل، فلم

يبق للعاصي عذرا! فلا تحرم نفسك حقيقة الصيام، فليس الصيام إمساكاً عن

الطعام والشراب فقط، والقلب هو القلب قاسٍ عاصٍ، غافلٍ لاهٍ

لقد أقبل رمضان!! ف"يا غيوم الغفلة عه القلوب تَنَسَّعِي، يا شמוש التقوى والإيمان اطلعي، يا

صحايف أعمال الصائميه ارتفعي، يا قلوب الصائميه اخشعي، يا أقدام المتعبدية اسجدي لربك واركعي! يا ذنوب

(١) مدارك المرام في مسالك الصيام، نقلا عن فقه الصوم للدكتور سيد العفاني (٧١/١).

(٢) رواه البخاري في الاعتكاف، باب هل يدرأ المعتكف عن نفسه. ومسلم في السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رؤي خاليا بامرأة...

التائبه لا ترجعي، يا أرض العوى ابلعي ماءك، ويا سماء النفوسه أقلعي.. يا همم المحبيه بغير الله لا تقنعي...^(١).

سؤال الحلقة

الباب الذي يدخل منه الصائمون الجنة هو:

١ باب المتوكلين

٢ باب الريان

٣ باب الذكر

(١) لطائف المعارف لابن رجب (ص ١٨٢).

(٢)

لماذا نصوم؟

شاهد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

ويعد: هناك سؤال مهم للغاية يطرح نفسه، وهو: لماذا نصوم؟ وما الحكمة من فرض هذا الركن العظيم في الإسلام؟ وحتى لا يتحول صيام شهر رمضان من عبادة لها أهداف ومقاصد عظيمة، إلى عادة ثقيلة! كان لا بد من الإجابة على هذا السؤال، فكثير من الناس يصومون، ولكن قليل أولئك الذين يعرفون لماذا

يصومون؟ وهذا هو الفرق بين العادة والعبادة

لماذا نصوم؟ يحدد لك الهدف والغاية التي من أجلها فرض صوم رمضان. ووضوح الهدف في أي عمل تقوم به يُسهّل عليك ذلك العمل، ويدفعك لاجتهاد والمجاهدة للوصول إلى الهدف.

في رمضان أنت تمسك عن الطعام والشراب والجماع؛ من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، أسألت نفسك لماذا؟ تجوع وتعطش، لماذا؟ تسهر وتتعب، لماذا؟ أصناف الطعام بين يديك، والماء البارد أمام عينيك، وأنت جائع عطشان، فلا تمد يدك إليه! لماذا؟ ماذا تريد من كل هذا؟ ما الهدف؟ إلى أي شيء تريد أن تصل؟

روحانية صائمه

رمضانُ رُبَّ فَمِ تَمَنِّعْ
ظَنُّ الصِّيَامِ عَنِ الْغِذَاءِ
وهوى على الأعراض
يا ليتَهُ إِذْ صَامَ صَامٌ
واستاك إِذْ يَسْتَاكُ عَنِ
عن شرابٍ أو طعامٍ
هو الحقيقتُ فِي الصِّيَامِ
ينهشها ويقطع كالحمائم
عن النائم والحرام
كذب وزور وإجرام^(١)

حاشا لله - عز وجل - أن يكون المراد تجويعنا وتعطيشنا وإتعبنا! حاشا لله

أن يكون هذا مراده! وهو أرحم الراحمين، أرحم بعباده من الأم بولدها، وهو القائل في
آخر آيات الصيام: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^(٢).

ربما حدثتك نفسك فقالت: لماذا أمرنا الله بالصيام؟ ولماذا فرض علينا

شهر رمضان؟ وربما تقول - أيها الأخ - إننا نصوم رمضان لأن الله أمرنا بصيامه؛
فتجب الطاعة والاستجابة لله بما أمر. للمريد نعال نستمع إلى مخاضة ماذا نصوم

فأقول: نعم، إن الاستجابة لله ولرسوله أمر واجب على كل مسلم ومسلمة،

ولو لم تتبين لنا الحكمة من هذا الأمر، فإن الخير كل الخير فيما أمر الله تعالى به،

وأمر به رسوله ﷺ، لكن الله - سبحانه - بين الحكمة من الصوم بقوله: ﴿يَأْتِيهَا

الزَّيْنُ أَمَّا هِيَ كَلْبَةٌ فَالصَّيَامُ كَمَا كَلْبَةٌ فَلَمَّا الْوَيْبُ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا كُمْ لَلْقَوْمِ﴾^(٣).

(١) الأبيات مختارة من قصيدة بعنوان (رمضان) للشاعر محمد السنوسي. مجلة المنهل، العدد: (٥٠٢).

(٢) سورة البقرة [١٨٥].

(٣) سورة البقرة [١٨٣].

إِذَا الْقُرْآنُ يُقْرَأُ يَسْمَعُونَ آيَاتِهِ لِيُذَكَّرَ الَّذِينَ يَخْلَوْنَ وَالَّذِينَ لَا يَتَذَكَّرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
وَلَا تَجْوِعُوا فِيهَا، بَلْ لِتَرْبِيئِهَا وَتَزَكِيَّهَا، وَلِيُنْفِقْ مِنْهَا فِي سُبُلِ اللَّهِ وَلِيُذَكَّرَ فِيهَا
الْعَبْدَ فِي الدُّنْيَا، وَلَيْسَ أَشَقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِمَّنْ يَحْرَمُونَ طَمَأْنِينَةَ الْأَنْسِ بِاللَّهِ
بِتَقْوَى اللَّهِ .

وكانى بك - أيها الصائم - تقول: كيف السبيل لهذا النعيم ؟ كيف
نصوم؟ وكيف نقوم؟ لنعيش رمضان بحق وصدق؟

أما الكيفية فصم وقم كما كان يصوم ويقوم قِدوتنا وحبیبنا محمد ﷺ؛
﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَأَتِبُوا أَمْرِي يُحِبِّكُمْ اللَّهُ ﴾ (١).

ظماً .. ويخفتُ في مداي كفاً	قد يستبدُّ الجوعُ بي، ويهدُّني
ويشدُّ من أزرِي لديك صلاماً	لكنَّ تقوى الله .. تحفزُ همتي
ألفَ الطريق ، وأنستهُ بطاماً	وأراك يا رمضان. رحمةً مئماً
عاماً، بقلب أثخنه جراحاً ^٢	وأراك حين تجيء .. توقظُ ما غفا

الصوم يوقظ القلوب، فإذا فسد الناس في زمن من الأزمان فإن صلاحهم لا



يكون بالتشدد والتنطع، بل يبدأ الصلاح بإعداد القلوب

(١) سورة آل عمران [٣١].

(٢) الأبيات مختارة من قصيدة بعنوان (رمضان)، لياسين الفيل، نقلاً عن فقه الصوم للعفاني (٢/١٠٩٢).

وبث حرارة الإيمان فيها، وخوف الله ومراقبته؛ فالإسلام لا يقود الناس
بالسلاسل إلى الطاعات، إنما يقودهم بالتقوى، ومراقبة الله
ومن أعظم ثمار الصيام تربية القلوب على التقوى والمراقبة، وتعويدها على
الخوف من الله. فالشبع يذهب نور العرفان، ويقضي بالقسوة والحرمان .

إذا قال قائل: ما علاقة الأكل والشرب بالتقوى؟ فالأكل والشرب للبطن، والتقوى
مكانها القلب فما دخل ذا بنا ؟
أقول: أليست كثرة الطعام والشراب لها أثر كبير على فساد القلب وغفلته؟
فالبطنة تذهب الفطنة، والشبع يقسي القلب ويعميه، والرسول ﷺ يقول: ((مَا مَلَأَ
أَدَمِيَّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتُ يَقْمَنَ طَبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ؛ فَتَلْتُ لِبَطْعَامِهِ،
وَتَلْتُ لِشْرَابِهِ، وَتَلْتُ لِنَفْسِهِ))^(١).

قال ابن القيم - رحمه الله - : "وهو مفسدات القلب الطعائ، والمفسد له نوعان: أحدهما:
ما يفسده لعينه وذاته كالمحرمات... والثاني: ما يفسده بقره وتعدي حره، كالإسراف في الحلال، والشبع المفرط،
فإنه يُثقله عن الطاعات، ويشغله بمزاولة مُؤنة البطنة ومحاولتها، حتى يظفر بها، فإذا ظفر بها شغله
بمزاولة تصدقها ووقاية منورها، والتأذي بثقلها، وقوى عليه مواد الشهوة، وطرق مجاري الشيطان،

(١) رواه الترمذي في الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، وقال: حَسَنٌ صَحِيحٌ. وابن ماجه في الأطعمة، باب الاقتصاد في الأكل
وكراهية الشبع. وحسنه ابن حجر في الفتح، وصححه الألباني.

ووسَّعَهَا؛ فإنه يجري منه ابن آدم مجري الدم، فالصوم يُصَبِّقُ مجاربه، وَيَسُدُّ عليه طَرَفَه، والشبه يطرقها ويوسَّعها، ومنه أكل كثيرًا شرب كثيرًا، فنام كثيرًا، فخرسه كثيرًا" (١).

وقال عمرو بن قيس: "إياكم والبطنه؛ فإنها تقسِّي القلب".

وقال الحارث بن كلدة - الطبيب العربي المشهور - : "الحَمِيَّةُ رأسُ الدواء، والبطنه رأسُ الداء".

إن تقليل الطعام والشراب ينور القلب، ويوجب رفته، ويزيل قسوته. قال سفيان الثوري: "إن أردت أن يصح جسمك، ويقلَّ نومك، فأقلِّ من الأكل".

رُوي عن ذي النون المصري أنه قال: "تجوِّع بالنهار، وقم بالأسحر، ثم عَجِّبًا منه الملك الجبار" (٢). وقال يحيى بن معاذ: "من شبع من الطعام عجز عن القيام" (٣).

فهل عرفتم بعد هذا كله علاقة الطعام والشراب بالقلب والتقوى؟!

معاشر الصائمين والصائمات!

إن الإمساك عن الطعام والشراب في رمضان ليس هدفًا في ذاته، بل هو

وسيلة لرقة القلب وانكساره، وخشيته لله

(١) مدارج السالكين (١/٤٥٨).

(٢) فقه الصوم وفضل رمضان للنفاني (٢/٧٥٥).

(٣) المرجع السابق (٢/٧٥٤).

ولذا قال ﷺ : ((مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ، وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ
وَشْرَابَهُ))^(١). وقال - أيضاً - : ((لَيْسَ الصِّيَامُ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، إِنَّمَا الصِّيَامُ مِنَ اللَّغْوِ
وَالرَّفَثِ))^(٢).

فالغاية من الصيام حصول التقوى، التي ختم الله بها آية الصيام. فخشية الله،
ومراقبته، وطاعته، ومحبته، واتباع شرعه، كل ذلك يدخل في الغاية من الصيام .

أما إن كان الغاية تُرِكَ الشرب والطعام لذاته، فما أهون الصيام! ولكن إذا
صمت فليصم سمعك، وبصرك، ولسانك عن الكذب والمحرمات، ولا تجعل يوم
صومك ويوم فطرك سواء، واحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، واذكر الموت
والبلى. فتنبه واحذر، فربما يصدق على الصائم قول الرسول ﷺ : ((رَبِّ طَائِمٍ لَيْسَ لَهُ
مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ، وَرَبِّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ))^(٣).

الصيام تدريب للنفوس، وتعويد لها على الصبر وترك الشهوات، والبعض
يدخل عليه رمضان ويخرج وهو لم يتغير، يجوع ويعطش، وقلبه هو قلبه،
ومعاصيه هي معاصيه، يركع ويسجد، ويسهر ويتعب، وحاله هي حاله، ولسانه هو
لسانه، نعوذ بالله من حال هؤلاء.

(١) رواه البخاري في الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به .

(٢) رواه الحاكم (٤٣٠/١). والبيهقي، وابن خزيمة. وابن حبان. وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) رواه ابن ماجه في الصيام، باب ما جاء في الغيبة والرفث للصائم. وصححه الألباني في صحيح الجامع

ولو قيل لأهل القبور تَمَنُّوا لَتَمَنَّوْا العوْدة إلى الدنيا ليؤدوا طاعة تزيدهم قربة ورفعة، وحال بعض الأحياء ممن ماتت قلوبهم أنهم كلما خرجوا من ذنب دخلوا في آخر.

هذا هو رمضان! شهر التوبة والغفران، شهر تغلق فيه أبواب النيران، وتفتح الجنان، وتصفد الجنان، فدونك نفسك أيها الإنسان!
قال ابن رجب: "كل قيام لا ينهي عنه الفحشاء والمكذبة لا يزيد صاحبه إلا بعداً، وكل صيام لا يصاه عنه قول الزور والعمل به لا يورث صاحبه إلا هقناً ورداً. يا قوم أيه آثار الصيام؟ أيه أنوار القيام؟!"^(١).

سؤال الحلقة

الغاية من الصيام:

- ١ الامتناع عن الطعام والشراب
- ٢ تعذيب النفس تكفيراً للذنوب
- ٣ حصول التقوى

(١) لطائف المعارف (ص ١٩٤).

[٣]

كيف نصل إلى الهدف

شاهد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه

وبعد: قد يسأل سائل: كيف نصل إلى الهدف المنشود؟ وكيف تحصل التقوى من الصيام؟ فأقول: علاقة الصيام بتقوى الله تظهر من وجوه كثيرة، فأرعى سمعك، وانتبه لهذه الأسئلة:

أولاً: ألا يمكن وأنت صائم في نهار رمضان أن تختفي عن أعين الناس، فتأكل وتشرب، وتفعل ما تشاء؟ أسأل نفسك: ما الذي يمنعك؟

الجواب: لأنك تعلم أن الله يراك، ومطلع عليك، ويعلم ما تخفي وما تعلن. أليس في هذا تربية للقلب، وارتباطاً بخالقه، وخوفه وخشيته منه؟ أليس من صام بمثل هذه المعاني والمشاعر ازداد صلةً بالله، وخشياً وخوفاً منه؟ وهذا أعظم زاد للروح، فالصوم أمره موكول إلى الصائم نفسه، لا رقيب عليه إلا الله، فهو سر بين العبد وبين ربه، ولولا استشعاره لرقابته وأنه يراه لما صبر عن هذه الشهوات



ثانياً: عندما تتوضأ، فتتمضمض، وتستنشق، لماذا تحذر - أيها الصائم - كل الحذر أن لا تفوت إلى حلقك قطرة ماء؟ علماً أنه لا يطلع عليك أحد من الناس،

روحانية صائم

ولو أدخلت جرعة ماء، فكيف بقطرة!! سبحان الله! ما هو هذا السر العجيب؟! إنها مراقبة الله، فأنت على يقين أن الله يرى تلك القطرة لو سالت إلى حلقك. فيا سبحان الله أي تربية عظيمة، وأي أدب جم مع الله، هذا الذي أحدثه الصيام في قلبك؟!

معاشر الصائمين! إننا نرى المرأة في رمضان من بعد صلاة الظهر إلى غروب الشمس، وهي في مطبخها، تُعدُّ أصنافَ المأكولاتِ والمشروبات وتراها وتشم روائحها المغرية، وربما ذاقت ذلك بطرف لسانها ثم مجثته، وبصقته! سبحان الله! تأملوا هذا الموقف، وهي جائعة عطشى، ولا يراها أحد من البشر! فلماذا لا تمد يدها فتأكل وتشرب؟ ما الذي يمنعها ويردها؟ إنها حلاوة صلة الروح بالله، فهي تعلم أن الله يراها، ومطلع عليها، ويعلم حالها، فأني تهذيب، وأي تأديب، هذا الذي أحدثه الصيام في النفوس؟!

فهل عرفنا لماذا نصوم؟ خلاصة الأمر نقول: إن تجويع البطن والفرج لبضع ساعات فيه حياة للروح، وأنت إنسان بروحك وقلبك، لا ببطنك وفرجك، فنحن نأكل لنعيش، ولسنا نعيش لنأكل، ومن ذاق حلاوة الصيام الحقيقي بآن له الفرق، فانكسار النفس، وخلو البطن، وتضييق مجاري الدم، فوائد للصيام مفادها: حياة الروح المتمثلة برقة القلب، ولينه، وخوفه، وخشيته. وإذا ملك العبد قلباً بهذه الصفات انضبط قوله وفعله وحاله. إذ لا يمكن أن يمتثل لترك هذه الشهوات:

روحانية صائمه

الطعام، والشراب، والجماع، وهي حلال، ثم يتعدى إلى الحرام، من كذب وظلم
وغش ومشاهدة الحرام، وسماع الغناء، سواء كان في الليل أو النهار، وسواء كان
في رمضان أو في غير رمضان.

فالذي صلّى وصام، وترك الشراب والطعام في رمضان؛ لعلمه أن الله رقيبٌ
ومطلع عليه، سيترك الحرام في غير رمضان أيضاً؛ لأن الله لا يزال مطلعاً عليه،
عليماً بحاله، وهنا يشعر الإنسان بلذة الصيام، والمعاني الجميلة لشهر رمضان، فهو
يصوم لبناء ذلك السد المنيع بين النفس وبين شهواتها، وصدق بشر بن الحارث إذ
يقول: "لا نجد حلاوة العبادة حتى تجعل بينك وبينه الشهوات سداً". هذا السد هو تقوى الله،
ومراقبته في السر والعلن .

قال ابن القيم: "بالحب والخوف والرجاء؛ يزوق المسلم حلاوة الإيمان، ومنه استطال الطريق ذنوبه
مشبه".

وبعد كل هذا يرد هنا سؤال هام: لماذا البعض يخاف الله ويراقبه في رمضان
فيصوم ويصلي ويفعل الخير كله، ولكنه يهمل أو يترك ذلك في غير رمضان؟
أليس هذا خلافاً في المنهج؟ وضعفاً في التربية؟ عجيب أمرنا! أليس رب رمضان هو
رب رجب وشعبان؟ أليس الذي نستشعر رقابته علينا في رمضان، هو الذي يرانا
في رجب وشعبان، وغيرهما من الشهور؟

روحانية صائمه

عباد الله! إن الله فرض الصيام شهراً، تدريباً وتذكيراً للنفوس برقابة الله عليها، ومحطة نتزود منها لبقية الشهور، وصدق الله حيث يقول: ﴿ **لَهُ أَكْفَرُ** **أَلْقُونِ** ﴾^(١) أي من أجل أن تتقوا الله. ومن لم يصم بهذه المعاني، فليس له إلا الجوع والعطش، والسهر والتعب، ألم يقل ﷺ: ((**رَبِّ طَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ، وَرَبِّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهْرُ**))^(٢).

أعطِ الصومَ حَقَّهُ	أيها الراجي ثمار الصوم
والتذاذِ بالمشقه	من خشوع واصطبار
يش في رفق ورفقه	وانطلاق في سبيل العـ
بالشهوات .. ربقة	طارحاً عن روحك المغلول
طولَ العام ... عتقه ^(٣)	إن في هذا لعبدِ الجسم

إخوة الإيمان! هكذا نحيا رمضان، عندما نفهم حقيقة الصيام، ونشعر بحلاوة الإيمان، ف أكرموا هذا الوافد العظيم، استقبلوه بالتوبة الصادقة، والرجوع إلى الله، أروا الله من أنفسكم في هذا الشهر المبارك خيراً ، إنما هو أيام معدودات، لله فيها نفحات، من حُرْمِهَا حُرْمٌ خيراً كثيراً، جاهدوا أنفسكم،

(١) سورة البقرة [١٨٣].

(٢) رواه ابن ماجه في الصيام، باب ما جاء في الغيبة والرفث للصائم. وصححه الألباني في صحيح الجامع (ح٣٤٨٨).

(٣) أبيات مختارة من ديوان (ذلك هو الصوم)، للشاعر محمد عبد الرحمن، نقلاً عن فقه الصوم للغفاني (٢/١٠٨٣).

وأخلصوا النية لله، واعمروا بيوتكم بذكر الله والعمل الصالح، وكونوا عوناً
لأولادكم وأزواجكم في هذا الشهر الكريم.

اللهم اجعل مواسم الخيرات لنا مريحاً ومغنماً، اللهم بارك لنا في رمضان،
ووفقنا لصيامه وقيامه، واقبلنا فيه، وتقبله منا، اللهم اجعلنا من الفائزين فيه،
واختمه لنا بالقبول والغفران .

سؤال الحلقة

قال ﷺ: ((رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا))

١ العطش

٢ التعب

٣ الجوع

روحانية صائمه

[٤]

حقيقة الروح

شاهد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.
وبعد: فرمضان له طعم خاص، ولذة عجيبة في نفوس الصائمين، فهو يبعث في نفوسهم قوة الإيمان، والشجاعة والعزة والكرامة، ولهذا حصلت فتوحات عظيمة في رمضان! لماذا؟

إنها حياة الروح، حتى وإن كانت البطون خاوية، والشفاه يابسة؛ فالحياة حياة الروح، حياة القلب والانتصار على النفس، وعلى الشهوات، ومن انتصر على نفسه انتصر على الأعداء، إنها حياة الصلة والثقة بالله، وهنا يكمن جمال رمضان، وروعة هذا الشهر، بتلك الروحانية العجيبة، التي توقظ المشاعر، وتؤثر في النفوس، فرمضان له في نفوس الصائمين الصادقين بهجة، وفي قلوب المتعبدين المخلصين فرحة، فهو شهر الطاعات، ولنا فيه جميل الذكريات، إنه زاد الروح، تتغلب الروح فيه على البدن والجسد.

فما هي الروح؟ وما علاقتها بالصيام؟

قال ابن الأثير: "وقد تكرر ذكر الروح في الحديث كما تكرر في القرآن، ووردت فيه على معانٍ، والغالب منها أن المراد بالروح: الذي يقوم به الجسد، وتكون به الحياة، وقد أطلق على: القرآن، والوحي، والرحمة، وعلى جبريل... والروح يدرك ويؤنث"^(١).

(١) النهاية لابن الأثير (٢/٢٧١).

روحانية صائمه

ولا يمكن أن يحوم حول حقيقة الروح حائثم، ولا يعلم كنهها إلا الله تعالى،
ولما سأل اليهود الرسول ﷺ عن الروح نزل قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾^(١). قال الضراء في معنى الآية: **مِنْ عِلْمِ رَبِّي؛ أَي أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَهُ.**

وروى الأزهري بسنده عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ قال:
إن الروح قد نزل في القراء بمنازل؛ أي بمعان متعددة، ولكنه قولوا كما قال الله - عز وجل - : ﴿قُلِ
الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٢).

والروح سماوية علوية، والجسد أرضي سفلي، وعند موت الإنسان كل يتجه
إلى أصله، فالروح إلى السماء، والجسد إلى الأرض.

ومن الناس من همته في الثرى، ومنهم من همته في الثريا؛ ومنهم من يسعى
لحياة الروح، ومنهم من يسعى لحياة الجسد. وحياة الروح باتصالها بالسماء،
وبالخوف والخشية والمراقبة والإخلاص لله .

والروح والجسد لا غنى لأحدهما عن الآخر، إلا إذا أصبح الجسد لا همَّ له إلا
شهوته وهواه، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبَدَ الدَّرْهَمَ،

(١) أخرجه البخاري في التفسير، باب ﴿ويسألونك عن الروح﴾. ومسلم في صفة القيامة والجنة والنار، باب سؤال اليهود النبي ﷺ عن
الروح.

(٢) سورة الإسراء [٨٥] .

وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رِضِيَّ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، نَعِسَ وَأَنْتَكَسَ، وَإِذَا شَبِكَ فَلَا
انْتَفَشَ^(١).

ومن الناس من نسي روحه، وغفل عن حقوقها، فعبدها لجسده وشهواته،
فأصبحت حياته هموماً وغموماً، وأكداراً وأحزاناً. مساكين أهل الدنيا! خرجوا
منها وما ذاقوا أطيب ما فيها" وأطيب ما فيها حلاوة الإيمان، ولذة الطاعة
خاصة في رمضان

فالإنسان جسد وروح، وشهوة وعقل. والجسد تتبع له الشهوة، والروح يتبع لها
العقل. والصراع دائم بين الفريقين: الجسد والشهوة معاً، والروح والعقل معاً. ومتى
شبع البطن تحركت الشهوة، وإذا خلا البطن هدأ الجسد، وانطلقت الروح تنمو
وتنشط. ف في الصيام حلاوة لا يدركها إلا من صام من أجل الله بصدق، ولا
يعرفها إلا الذين خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم. وهذه هي الروحانية
العجيبة التي نحيها في رمضان

روحانية صائم بنزها بالجوع، وسقاها بالدموع، وقواها بالركوع، لتنتب
الخشوع والخضوع .

(١) رواه البخاري في الجهاد، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله.

روحانية صائم فيها السعادة واللذة، والأفراح والأشواق، مالا يبثه لسان، ولا
يصفه بيان .

روحانية صائم فيها الأرواح تهتز وترتاح، وتطير بغير جناح، فهي في أفراح
وأفراح.

روحانية صائم فيها من الحنين لجنت النعيم ما تورمت له أقدام المتجهدين،
وبذل له الثمين، وسمع الأنين.

روحانية صائم لا يعرفها العاشقون، ولا المتصوفة الواجدون، بل هي حكر على
المحبين الصادقين.

روحانية صائم تخلصت من أسرار الهوى والشهوة، وحيل النفس والشيطان.

وباختصار! روحانية صائم: عاش صاحبها في جنة الدنيا، وفي الدنيا جنة من
لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة . ولكن كم بين خلي وشجي!! وواجدٍ وفاقد!
وكاتمٍ ومُبدٍ

(للمزيد ما رأيكم بأن نستمع أيضا إلى محاضرة روحانيّ صائم)

روحانية صائم

معاشر الصائمين والصائمات! هذه أفراح الروح عند انتصارها، وفك أسرها من شهوات الجسد؛ ولذلك قال ابن القيم: "فللروح المطلقة من أسر البدن وعلائقه وعوائقه منه التصرف والقوة والنفاز والهمة وسرعة الصعود إلى الله والتعلق بالله، ما ليس للروح المعينة المحبوسة في علائق البدن وعوائقه..."^(١).

ما أحلى رمضان! وما أجمل رمضان! إنه شهر الروح! هذه الروحانية لا نعرف كنهها، ولا نستطيع وصفها، حتى من ذاق طعمها وعرف حلاوتها من أولئك الأفاضل الذين ذاقوا طعمها ما استطاعوا وصفها، ولا التعبير عن وجدها، إلا بألفاظ عامة لم تفصح عن حقيقة الشعور، وسمع لبعضهم يقول: "إنه يمر في القلب لحظات أقول: إن كان أهل الجنة في مثل هذا فإنهم لفي نعيم". إنه شعور عام لا يستطيع وصفه بأكثر من هذا، فإن لم ترها العين فقد أبصرها القلب

واسمع لابن تيمية - رحمه الله - وهو يقول: "أنا جنني وبستاني في صدري، فماذا يفعل الأعداء بي؟! سجنني خلوة، ونفني سياحة، وقتلي في سبيل الله شهادة"^(٢).

وهذا ثالث لم يجد ما يعبر به عن السعادة واللذة التي يجدها إلا بقوله: "إه في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة"^(٣).

(١) الروح لابن القيم (ص ١٣٧).

(٢) الوابل الصيب لابن القيم (ص ٦٦ - ٦٧).

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص: ٧٧).

في بهيجٍ من رياضِ الأتقياءِ
ساحباتٍ بينَ آفاقِ الضيَاءِ
مشتهاها من بناييمِ الصفاءِ
في قفارٍ ، ليس فيها من رواءِ
فيه للأرواحِ شيءٌ من حياءِ
في صيامِ الجسمِ تزجيه السماءِ
صولجانِ الحكمِ في دنيا الشقاءِ
في رفاءِ ، وازدهارٍ ، وارتقاءِ
شيطانِ الإنسانِ في الأرضِ اشتهاؤِ
طعمةٍ فيها من الإفراطِ داءِ
في طعامِ عنه عاشتُ في عناءِ
تبتغي إلا لقياماتٍ ، وماءِ
كل سلطانٍ به الإنسانِ باءِ
تسرقُ الناسَ حتى الأقوياءِ

أطلقِ الأرواحَ من أصفادِها
غادياتٍ رائحاتٍ كالسنا
إنها يا شهرِ ظمأى فاسقها
شهوةُ الأجسادِ قد ألفتُ بها
ما غذاءِ الجسمِ في ألوانه
إنما الأرواحُ تحيا بالذي
يا ربيعِ الروحِ أقبلِ ، واعطها
كي يعيشِ الناسُ من آلائها
هل درى أهلُ الحجا أن الذي
زورقُ الشيطانِ في وجدانه
ما ارتقتُ إلا بزهدِ أنفوسِ
واطمأنتُ في حياةِ الروحِ لا
إنما سلطانها من دونه
حسبه أن أخضعِ النفسَ النبي

سؤال الحلقة

- المراد بالروح
١ مايقوم به الجسد
٢ جبريل
٣ كل ما سبق

روحانية صائغ

[٥]

مشاعر الروح

شاهد

الحمد لله العلى الأعلى، وأصلي وأسلم على نبينا وقدوتنا محمد النعمة المسداة،
وعلى آله وصحبه مصابيح الهدى .

وبعد: إخوة الإيمان! بعد أن قطفنا فوائد تربوية غالية من رياض مدرسة
الصوم في الحلقة السابقة تعالوا بنا، إتماماً للفائدة نقف مع مشاعر هذه الروح،
وهي وصف وتصوير لمشاعر وأحاسيس، وروحانيات وأشجان، لمن ذاق حلاوة الإيمان،
وطعم الصلة بالرحمن في رمضان، وعرف حقيقة الصيام. وهي للجميع، فلا
يختص بها الرجال دون النساء، ولا الكبار دون الصغار، لعل الله أن ينفع بها
الجميع؛ فإن من ذاق طعم الشيء فاستحسنه، حرص عليه، وتمسك فيه، ومن ذاق
طعم الإيمان بذل من أجله النفس والنفيس.

وقد قيدت هذه المشاعر والأحاسيس، وحرصت أن أنقلها لكم تذكرياً
وتشجيعاً لنا جميعاً، وخاصة لأولئك المحرومين (حتى لا نكون منهم والعباد بالله استمع
الى محاضرة محروم في شهر الصوم) الذين لم يذوقوا لرمضان طعماً، وليس له في قلوبهم
حلاوة ولا أثر، لا يرون في رمضان إلا جوعاً لا تتحمله أعمارهم، وعطشاً لا تقوى
عليه عروقهم، فإلى هؤلاء.. بل لنا جميعاً أقول: تعالوا، لنسمع أفراح الروح، وهي
تسري في القلب فتتلذذ بالصيام، والقيام، والصدقة، وقراءة القرآن، والتوبة،
والغفران، فهذا صائم يحاول التعبير عن هذه الروحانية فيقول: في نهار يوم من

روحانية صائم

أيام رمضان اشتدَّ بي الجوعُ، فبَسَّ اللسان، وقلصت الشفتان، وغارت العينان؛ فنظرتُ عن يميني فإذا أصناف الطعام! وعن شمالي أنواع الشراب، فذكرت قول الله - عز وجل - في الحديث القدسي: ((يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي، الصَّيَّامُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ))^(١). فرقَ قلبي، ودمعت عيني، وانتابني شعور جميل، له حلاوة، وعليه طلاوة، لا أستطيع وصفه، ولا بيانه، قلت: لعله أثر من آثار الإخلاص في هذه العبادة العظيمة، ولكن من أنا؟ أنا عبد من عبده، فقير إليه، ذليل بين يديه، فيخاطبني وهو العظيم الجليل ذي الجبروت والملكوت: ((يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي)) فتأمل قوله: ((مِنْ أَجْلِي)) رقة وشفافية عجيبة .

بهذه الرقة وهذا الانعطاف وهذه الشفافية وهذا الإيناس نسيتُ جوعي وتعبي، فأني مشقة في الصوم في ظل هذا الود والقرب من السيد لعبده؟ فشعرت بحرص واطمئنان، وثقة ويقين .

وهذه مشاعر متصدق صائم قال فيها :

الصدقة في رمضان لها طعم خاص، ولذة عجيبة، ولا غرو فإن رسول الله ﷺ ((كَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَازَانَ))^(٢). أخذت عهداً على نفسي ألا يمر يومٌ من رمضان إلا ولي فيه نصيب من الصدقة والإحسان " فقليل دائم خير من كثير منقطع".

(١) رواه البخاري في الصوم باب فضل الصوم . ومسلم في الصيام، باب فضل الصيام.

(٢) جزء من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أخرجه البخاري ومسلم.

تلق جميع الحسن فيه مصوراً
نخم أرق بين النسيم إذا سرى
نهرًا تفجر أحمدياً كـوثراً
وغدا لسان الحال عنى مخبراً
ورآه كان مهلاً ومكـبراً

قلِّبْ فَيَأْدَكَ فِي محاسن شرعنا
كم من معان في صيام نبينا
وانظر لفرق صيامهم وصيامنا
فدهشت بين جماله وجلاله
لو أن كل الحسن أكمل صورة

وبعد صولات وجولات بين بيوت الأرامل واليتامى، والفقراء والمحتاجين
شعرت برقة في قلبي، ولذة عجيبة في نفسي . فعرفت حقيقة الصيام، وأحسست
بقرصة الجوع ولذعة الحرمان.

وقفت على أرملة لها صبية صغار، وبيت بالإيجار، ودموع غزار، ربما عبث الهمُّ
بقلبها ففضلت الموت على الحياة، أو سلكت طريق البغاء! عندها تبين لي قول
الرسول ﷺ: ((السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمُسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ كَالَّذِي يَصُومُ
النَّهَارَ، وَيَقُومُ اللَّيْلَ))^(١).

وجلست مع اليتيم، فنظرت في عينيه، فكأنه يسألني عن أبويه، ولماذا هو ليس
كغيره من الصغار! معهم الألعاب والحلوى والطعام، وهل سأشتري له ثوباً جديداً
ليلبسه في العيد، فمسحت بيدي على رأس اليتيم، فإذا بقلبي يلين، ودمعي يسيل،
فذكرت قول الحبيب ﷺ في مسند الإمام أحمد، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً

(١) رواه البخاري في الأدب، باب الساعي على الأرملة. ومسلم في الزهد، باب فضل الإحسان إلى الأرملة...

شَكَاَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَسْوَةَ قَلْبِهِ، فَقَالَ لَهُ: ((إِنْ أَرَدْتَ تَلْبِيْنَ قَلْبِكَ فَأَطْعِمِ الْمَسْكِيْنَ،
وَأَمْسِكْ رَأْسَ الْبَيْتِيْمِ))^(١).

هكذا نحيا رمضان، فهو مدرسة، يستثير الشفقة، ويحض على الصدقة، وهو شهر يعلمنا الجود والإحسان، ليس فقط في رمضان، بل على الدوام؛ ﴿وَمَا أَنْفَقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نَفْسِكُمْ﴾^(٢).

حدثني أحد الإخوة بكلام عجيب، كان له وقع في نفسي قال: إنه قرأ للشعبي - رحمه الله - كلاماً جميلاً. قال فيه "هه لم ير نفسه إلى ثواب الصدقة أحوح من الفقير إلى صدقته فقد أبطل صدقته، وهدب بها وجهه" فما تركت الصدقة بعدها، فأنا الفقير، وأنا المحتاج .

كان ابن عمر رضي الله عنهما يصوم ولا يفطر إلا مع المساكين، فإذا منعه أهله عنهم لم يتعش تلك الليلة!^(٣).

عائشة أم المؤمنين - رضي الله تعالى عنها - أنفقت في يوم واحد مئة ألف درهم، ولم تبق شيئاً، عن هشام بن عمرو، عن أبيه، أنه معاوية بن أبي سفيان بعث إلى عائشة، بمائة ألف، فقسمتها

(١) رواه أحمد. والبيهقي في الشعب، وحسنه الحافظ في الفتح. قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: "حسن لغيره".

(٢) سورة البقرة [٢٧٢].

(٣) لطائف المعارف (ص ١٨٨).

حَتَّى لَمْ تَذَكَّرْ مِنْغَا شَيْئًا، فَقَالَتْ بَرِيَّةٌ: أَنْتِ صَائِمَةٌ، فَهَلَّا ابْتَعْتِ لَنَا بَدْرَهُمْ لِحَمًا؟ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: "لَوْ أَنِّي ذَكَرْتُ لَفَعَلْتُ"^(١).

سبحان الله! ما هذه الروحانية العجيبة! وما هذا السمو المذهل في النفس الصائمة حتى إنها تنسى حاجاتها ومطالبها، وكأنها لا تذكر إلا أمتها، وحاجات أمتها

يا معشر العاصين! لا يأس من قلب خمد وجمد، وقسا وتبلد، فإنه يمكن أن تدب فيه الحياة، يمكن أن يُشرق فيه النور، يمكن أن يخشع لذكر الله، فنحن في شهر رمضان، شهر التوبة والغفران، والله يُحيي الأرض بعد موتها، فتنبت وتُزهر.

يا معشر التائبين (نريد ان نكون منهم إستمع الى محاضرة توبت صائم)

تعالوا كل من حضرا
ونبكي كلنا أسفًا
لنطرق بابه سحرًا
على من بات قد هجرًا

كيف نصنع إذا نودي بالرحيل وما تأهبنا، ألسنا الذين بارزنا بالكبائر وما راقبنا؟! يا معشر المذنبين! لنبسط لسان الاعتذار، ولنظهر العجز والافتقار، وليردد كل واحد منا:

(١) رواه الحاكم (٤/ ١٥). وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٤٧). وسير أعلام النبلاء (٢/ ١٨٧).

إلهي ترى حالي وفقري وفاقتي
إلهي فلا تقطع رجائي ولا تزغ
إلهي أجرتني من عذابك إنني
إلهي لئن جئت وجمت خطيئتي
وأنت مناجاتي الخفية تسمم
فئادي فلي في صيب جودك مطم
أسير ذليل خائف لك أخضم
فعفوك من ذنبي أجل وأوسم

سبحان الله! في رمضان رياح الأسحار تحمل أنين المذنبين، وأنفاس المحبين،
وقصص التائبين، ورحم الله مطرف بقوله: " اللهم ارض عنا، فإن لم ترض عنا فاحف عنا".
اللهم اعف عنا، وتب علينا، إنها مشاعر روح في شهر روحانية، في شهر لذة
العبادة، والإقبال على الله، فهل فعلاً نحن نتذوق هذه المشاعر؟ نسأل الله -
تعالى- ألا يحرمنا وإياكم من هذه المشاعر الجميلة، ومن لذة العبادة ومن
أجرها، وأن يوفقنا للصواب والإخلاص، وهو ولي ذلك والقادر عليه .

سؤال الحلقة

في الحديث القدسي: ((..... لي، وأنا أجزي به)) .

١ الصيام

٢ القيام

٣ قراءة القرآن

روحانية صائغ

(٦)

حياة الروح (الصلاة)

شاهد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد: كان من المهم جداً ونحن نتحدث عن الروحانية أن لا ننسى حياة الروح، وزادها ونورها، إنها الصلاة، فهي على الصلاة سلوى الأرواح (ما أجمل هذه المحاضرة ورجل معلق قلبه بالصلاة تعالوا حبتني نسمعها سوياً) ، طريقنا إلى الجنة دار الأفراح، حي على الفلاح، تعالوا لنرتاح، إنها عماد الدين، ورأس القربات، هي المعين الذي لا ينضب، هي الزاد للنفس والقلب، إنها زاد الطريق ومدد الروح، إنها اللمسة الحانية للقلب المتعب المكدود، فمن منا إذا همّه أمر فزع إلى الصلاة، هكذا كان الحبيب ﷺ إذا حزبه أمر فزع للصلاة، وكان يقول: ((وَجَعَلْنَا قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ))^(١).

نعم هي الملجأ والملاذ عند الشدائد والأزمات، بل لها لذة وحلاوة عند الضيق والهم والكربات، إنها الصلاة عندما تؤديها بمثل هذه المعاني، ونحس بأثرها على النفس والروح، وعظيم أجرها، إنها الصلاة عندما نتذوق الأحاديث والآثار فيها، ونستشعر أركانها وواجباتها وآدابها، إنها الصلاة عندما نشعر أنها تشریف لنا،

(١) رواه النسائي في عشرة النساء، باب حب النساء (ح ٣٣٩١). وأحمد (٣/١٢٧، ١٩٩، ٢٨٥).

روحانية صائغ

وليست تكليفاً فقط، فياليت قومي يعلمون؟! أفلا يستحي العبد من ربه ومولاه، وقد ترك الصلاة وجفاها، بل تكبر وعصاه، وهو يقول: ﴿ **إِنَّ الذِّينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾^(١).

إنها حياة الروح والأنس والإيمان، والسعادة والاطمئنان، تلك هي الصلاة عندما نؤديها بمثل هذه المعاني الرائعة، والمشاعر الجميلة البارعة، نحس بأثرها، ندوق حلاوتها، نستشعر عظيم أجرها، إننا عندما نصلي بتلك المعاني نجد الإجابة على تلك الأسئلة التي تتردد كثيراً في مجالسنا؟ يُعذبنا صداها دائماً في أنفسنا؟

لماذا حالنا مع الصلاة هكذا؟ لماذا هي ثقيلة على نفوسنا؟! نتساءل: لماذا نصلي وأجسادنا في المساجد، وقلوبنا في أودية الدنيا تهيم؟! لماذا صلاتنا لا تأمرنا بالخيرات ولا تنهى عن المنكرات؟! لماذا نصلي والقلب هو القلب قبلها وبعدها سواء؟ هل حق أن الصلاة أصبحت تكليفاً ثقيلاً؟ لسان حالنا: عجل بها يا إمام؟ أرحنا منها، أنها بالسلام!!

تعالوا لنسمع عجباً، ونرى حقيقة الصلاة كيف تكون؟

إخوة الإيمان! اسمحوا لي أن أرتحل وإياكم الآن، إلى كوكبة مؤمنة عرفت أن الصلاة صلة بين العبد وربّه، وأنها لقاء بين الحبيب والمحبوب، فكانت الصلاة قرّة

(١) سورة غافر: [٦٠].

لأعينهم، وملاذًا لهمومهم ومصائبهم، وراحةً لنفوسهم وقلوبهم، حتى ولو عجزت
 قدماه أن تحمله للمسجد، فإنه لا يقر له قرار، ولا يهدأ له بال، حتى يَهَادِيَ بَيْنَ
 الرَّجْلَيْنِ فَيَقَامَ فِي الصَّفِّ، هكذا كان قدوتنا ﷺ مع صلاة الجماعة، وهو مريض يغمى
 عليه ثلاث مرات، فيفيق ويغتسل كل مرة لعله أن يدرك صلاة الجماعة، فلا يستطيع؛
 فيرسل إلى أبي بكر ليصلي بالناس، ثُمَّ إِنَّهُ ﷺ وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ خِفَةً، فخرج لصلاة الجماعة،
 أتدرون كيف خرج؟ تقول عائشة: ((فَخَرَجَ يَهَادِي بَيْنَ رَجْلَيْهِ^(١)، كَأَنِّي أَنْظُرُ رِجْلَيْهِ تَخْطَانِ مِنْ
 الْوَجَعِ...))^(٢).

بأبي وأمي هو رسول الله ﷺ، هكذا كانت الصلاة أنسه وميدانه، وروحه وريحانه،
 ونزهته وبستانه، ونعيمه وعنوانه. وهكذا كان من نهج نهجه وسار على سنته من
 الأفضاد، فقد روى ابن أبي شيبة في مصنفه: "أَنَّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ^(٣)، كَانَ يُحْمَلُ وَهُوَ مَرِيضٌ إِلَى
 الْمَسْجِدِ"^(٤)، بل كان يأمرهم أن يحملوه في الطيب والظلم إلى المسجد وهو مريض.

(١) أي يمشي بينهما معتمداً عليهما، من ضعفه وتمايله، من تهادت المرأة في مشيها، إذا تمايلت. وكل من فعل ذلك بأحد فهو يهاديه .
 (النهاية ٢٥٥/٥).
 (٢) جزء من حديث طويل رواه البخاري في الأذان، باب حد المريض أن يشهد الجماعة. ومسلم في الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا
 عرض له عذر من مرض .
 (٣) هو عبد الله بن حبيب بن زبيبة السلمي الكوفي المقرئ مشهور بكنيته: أبو عبد الرحمن، من كبار التابعين، ثقة ثبت. (تقريب
 التهذيب ص ٤٩٩).
 (٤) مصنف ابن أبي شيبة (٣٥٠/١).

وكان الربيع بن خثيم يُقاد إلى الصلاة وبه الفالج - الشلل - فقيل له: " لقد رخص الله لك لو صليت في بيتك! فيقول: إنه كما تقولون، ولكني سمعته ينادي: حي على الصلاة، فمه سمع منكم: حي على الصلاة فليجبه ولو زحفاً، ولو حبواً"^(١).

وسمع عامر بن عبد الله بن الزبير المؤذن، فقال: "خذوا يدي؛ فقيل: إنك عليل! قال: أسمع داعي الله فلا أجيبه؟ فأخذوا يده، فدخل مع الإمام في المغرب، فركع ركعة ثم مات"^(٢).

إنما مبنية نُورثُ خلداً للأبد في جنة الفردوس في عيشٍ رغد

الشرع لا يطالبك - أخي - أن تأتي إلى الصلاة محمولاً أو مريضاً، ولكن تأمل عندما تذوق النفوس طعم الصلاة، كيف تشتاق وتبذل الغالي والنفيس من أجلها، تأمل هذه النفوس كيف تأبى إلا أن تُحمل على الأكتاف للمساجد لأنها تسمع: "حي على الصلاة" فلا يقر لها قرار ولا تهدأ حتى تُجيب داعي الفلاح! بل الإجابة حتى في أشد اللحظات، حيث فرض صلاة الخوف في ساحة المعركة، لنسال أنفسنا لماذا كل هذا الحرص؟ ولماذا فرضت صلاة الخوف حتى في ساحة القتال؟ لا يمكن أن يكون هذا إلا لأنها صلة بالقوي الجبار، ومدد وزاد للنفوس الكبار.

(١) الزهد لابن المبارك .

(٢) سير أعلام النبلاء (٥/٢٢٠).

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

إنها حياة الروح، ولذا فلا تعجب إذا قرأت أو سمعت أن منهم من لم تفته صلاة الجماعة منذ أربعين سنة، إلا مرة واحدة حين ماتت والدته اشتغل بتجهيزها ومنهم سليمان بن حمزة المقدسي الذي قارب التسعين عاماً وهو يقول: "له أصل الفريضة قط منفرداً إلا مرتين، وكأني لم أصلهما".

ومنهم ابن المسيب الذي يقول: ما أذن الطؤذ منذ ثلاثيه سنة إلا وأنا في المسجد .

ومنهم الباكي عند ما تفوته تكبيرة الإحرام مع الجماعة، حتى قال إبراهيم التيمي: " إذا رأيت الرجل يتهاوه في الكبيرة الأولى فاحسب يدك منه ".

ومنهم الذي يمرض إذا فاتته الصلاة مع الجماعة، بل كان ابن عمر - رضي الله عنهما - إذا فاتته صلاة الجماعة صام يوماً، وأحيا ليلة، وأعتق رقبة . وكان سعيد التنوخي إذا فاتته صلاة الجماعة بكى .

قال أبو قطن: ما رأيت شعبة ركع قط، إلا ظننت أنه نسي، ولا فعد بيه السجديته، إلا قلت: قد نسي . فقد كانوا يستغرقون في صلاتهم استغراقاً عجيباً لا يكاد يصدق، قال ابن المنكدر: لو رأيت ابنه الزبير يصلي كأنه خصه تصفقه الريح، وحجر المنجنيق يقع هاهنا .

وقال ابن عون: " رأيت مسلماً به يسار يصلي كأنه وتد، لا يميل على قدم مرة ولا على قدم مرة ".

روحانية صائغ

وكان إبراهيم التيمي إذا سجد، كأنه جزء حائط يتدل على ظهره العصافير . وكان محمد به نصر يقر الزبور على جبهته، فيسيل الدم على وجهه ولم يتحرك . سبحان الله! أي خشوع هذا الذي لا تهزه رمية منجنيق، ولا قرصة زنبور، يسيل الدم على جبينه فلا يتحرك المصلي كأنه وتد أو جنع، أو عمود!؟

إذا اشتغل اللاهون عنك بشغلهم جعلت اشتغالي فيك يا منتهى شغلي
فمن لي بأن ألقاك في ساعة الرضا ومن لي بأن ألقاك والكل لي، من لي؟
إنها صلاة الخاشعين، وأي خشوع، إنه حضور القلب، بل غيابه وأنسه بقاء الحبيب سبحانه وتعالى، ارتحلت الروح إلى عالم آخر حتى أنها لا تشعر بما حولها مهما كان، قيل لعامر بن عبد قيس: أما تسهو في صلاتك؟ قال: أو حديث أحب علي من القرآن حتى أشغل به!! هيهات، مناجاة الحبيب تسغرق الإحساس^(١).

إذا كان حب الهائمين من الوري بليلى وسلمى يسلب اللب والعقلا
فماذا عسى أن يصنع الهائم الذي سرى قلبه شوقاً إلى العالم الأعلى
لقد ملأت أنوار الصلاة قلوبهم، وحركت وجدهم وأرواحهم، بل وطارت بنفوسهم وألبابهم، حتى قال عدي بن حاتم: ما دخل وقت صلاة حتى أشتاق إليها.
وذكر لمسلم بن يسار قلة التفاته في صلاته فقال: وما يدريك أبه قلبي .

(١) المدهش (ص: ٤٧٢).

وقيل لكثير بن عبيد الحمصي عن سبب عدم سهوه في الصلاة قط، وقد أمّ أهل حمص ستين سنة كاملة، فقال: **ما دخلت به باب المسجد قط وفي نفسي غير الله!**

إنها مواقف وصور تدعونا إلى مراجعة فهمنا للصلاة كيف هو؟! فهل من وقفة مع أنفسنا، نصارحها ونحاسبها، فربما الرجل منا يشيب عارضاه في الإسلام وما أكمل لله صلاة ١٩.

نعم، لا يتم أركانها، وخشوعها، وإقباله على الله فيها، و((مَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوعَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يَأْتِ كَبِيرَةً، وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ))^(١). كما في صحيح مسلم .

إذا فلنراجع أنفسنا إخوة الإيمان، ولنحرص على صلاتنا، فهي - والله- حياة الروح، إننا لا نطالب أن نكون مثل ملائكة، ولا أن نكون كهؤلاء السلف في العبادة، ولكننا بحاجة ماسة أن ننظر في حالنا مع الصلاة (ما رايتك ان نشاهد سوبت خلقت جرد صلاتك لنستفيد مما فيها من افكار وطرق لتتحسن بلذة الصلاة وقيمتهلا) ، وأثرها في حياتنا، خاصة ونحن في هذا الشهر المبارك، تذوقنا حلاوة الصلاة والقيام والسجود فلا نريد أن نخسرها بعد هذه الأيام المباركة، أسأل الله - تعالى- أن يعيننا وإياكم على أنفسنا، وأن يجعل الصلاة قرّة لأعيننا ولذة لأنفسنا.

(١) رواه مسلم في الطهارة، باب فضل الوضوء والصلاة عقبه (ح٢٢٧).

سؤال الحلقة
كان صلى الله عليه وسلم يقول: ((وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي)) .

١ الصلاة

٢ الصيام

٣ الجهاد

روحانية صائغ

[٥]

رمضان شهر القرآن

شاهد

الحمد لله العلي الأعلى، الذي خلق فسوّى، وقدرّ فهدى؛ والصلاة والسلام على خير خلق الله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد: إخوة الإيمان! رمضان شهر القرآن، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾^(١)، ولذا يستحب الإكثار من القراءة في رمضان، وأنها أفضل من سائر الأذكار 🐦، وكان جبريل - عليه السلام - يتعاهد النبي ﷺ في كل سنة؛ فيعارضه بما نزل عليه من رمضان إلى رمضان، فلما كان العام الذي توفّي فيه عارضه به مرتين، كما ثبت في الصحيح عن فاطمة رضي الله عنها^(٢).

وقال ﷺ: ((اقرأوا القرآن؛ فإنه يأتي شفيعاً يوم القيامة لصاحبه، اقرأوا الزهراوين: البقرة، وسورة آل عمران؛ فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان - أو كأنهما غيايتان - أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما، اقرأوا سورة البقرة؛ فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة))^(٣).

(١) سورة البقرة [١٨٥].

(٢) أصل الحديث: في البخاري في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٣٦٢٤). ومسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل فاطمة بنت النبي رضي الله عنها (٢٤٥٠).

(٣) رواه مسلم في صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة.

روحانية صائمه

في رمضان نسمع كثيرا ممن يقرؤون القرآن في المساجد خاصة من العامة، بل ومن بعض المتعلمين والمثقفين، وهم كحاطب ليل في القراءة



وقد تجد من يسمع ممن بجواره الخطأ واللحن، ومع ذلك يخجل من تقويمه والرد عليه، فيظل على حاله مع كتاب الله في لحنه وأخطائه!.

لماذا لا تقوم جماعات المساجد والأئمة بإحياء حلقات للكبار لتحسين التلاوة، خاصة بعد صلاة الفجر، أو في أي وقت مناسب يتفقون عليه؟ وإعلان ذلك لجماعة المسجد، وحثهم على المشاركة خلال شهر رمضان.

وكذلك نقول للأباء: لماذا لا يعقد كل واحد منكم حلقة في بيته بعد صلاة العصر أو في أي وقت مناسب لتلاوة القرآن وتدارسه مع أبنائه وبناته، ويرصد لمن يرى منه الحرص والاستمرار جوائز وهدايا تشجيعاً له.

وبهذا العمل تحصل مكاسب عظيمة، منها:

أولاً: حفظ الأولاد من البرامج المسمومة الموجهة لهم في رمضان، وقتل أفضل أيامهم.

ثانياً: مشاركة البنات اللاتي يذهبن ضحية الغفلة، والمحافظة على أوقاتهم.

ثالثاً: إحياء البيت بذكر الله، وملؤه بالجو الإيماني الروحاني، بدل إماتته وملئه بالأغاني وبرامج التلفاز ومسلسلاته. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

روحانية صائمه

((وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَعَشِبَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ))^(١).

رابعاً: الارتباط الأسري الوثيق، بين الأب وأبنائه وبناته.

خامساً: محاولة ختم القرآن لأهل البيت جميعاً، واستثمار رمضان من جميع أهل البيت.

ثم إنني أقترح عليك - أخي - في هذا الشهر الكريم اقتراحاً لعله يجد طريقه إلى قلبك، فإنه يمرُّ علينا رمضانُ تلوَ رمضانٍ وربَّما ختمنا القرآنَ مراتٍ، وربَّما كان همُّ أحدنا متى يصلُ لنهايةِ السُّورةِ، ومتى يصلُ إلى نهايةِ القرآنِ، فأقولُ: لماذا لا ترسمُ خطةً خلالَ هذا الشهرِ، في قراءةِ القرآنِ بتدبُّرٍ ونَظَرٍ، (للمرشد استمع هذه المحاضره بعنوان تدبره ﷺ للقرآن الكريم) والوقوف مع آياته بالرجوع إلى كُتُب التفسيرِ، وتقييدِ الخواطرِ والفوائدِ منها، فنتمنى أن نرى شبابنا وفتياتنا في المساجدِ وفي البيوتِ يقرؤون القرآنَ، و بجوارهم كُتُبُ التفسيرِ، ينظرُ لهذا تارةً ولهذا تارةً، أو على الأقل في تلك المصاحف التي طبع في هامشها بعض التفسيرِ وأسباب النزولِ، لنفقه القرآنَ، ونعرف معاني الآياتِ وأسباب نزولها، فنحن بأمس

(١) جزء من حديث رواه مسلم في الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن..(ح٢٦٩٩).

الحاجة إلى النظر في حالنا مع كتاب ربنا، فلنراجع أنفسنا في فهم القرآن وتدبره وحفظه وترتيبه، ولنحرص على تربية أولادنا ونسائنا على القرآن، تلاوةً وحفظاً، وتدبراً وعملاً، وكم يغفل الكثير من الآباء عن أهم وأعظم وسائل التربية للأبناء، فمن أراد لأبنائه وبناته الثبات على صراط الله المستقيم فلينشئهم على القرآن، فهو نور لصاحبه، وحامله من أهل الله وخاصته، قال ﷺ: ((إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ)) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: ((هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ؛ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ))^(١).

وقد أخبر النبي ﷺ أن الخيرية والرفعة لمن تعلم القرآن وعلمه، فقال ﷺ: ((خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ))^(٢).

القرآن يرفع أقواماً ويضع آخرين، وهذا محسوس ومشاهد بين الناس، قال ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ الْآخَرِينَ))^(٣).


ويأتي شفيعاً لصاحبه يوم القيامة، ويجعله مع السفرة الكرام البررة، قال ﷺ: ((الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبُرَّةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ))^(٤).


(١) رواه ابن ماجه في مقدمة سننه، باب فضل من تعلم القرآن وعلمه. وصححه البوصيري في الزوائد. وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه.

(٢) رواه البخاري في فضائل القرآن.

(٣) رواه مسلم في صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه.

(٤) رواه البخاري في تفسير سورة عبس. ومسلم -واللفظ له- في صلاة المسافرين، باب فضل الماهر في القرآن والذي يتتبع فيه

ومن شغله القرآن عن الدنيا عوضه الله خيرا مما ترك، ومن ليس في قلبه شيئا من القرآن كالبيت الخرد ، فكم هي البيوت الخرية، والقلوب الخرية التي أدمنت اليوم على الغناء والرقص و(الفيديو كليب) وغيرها، وهجرت القرآن كلام الرحمن؟!

وأما عن الأجر والثواب للقارئ ففي كل حرف حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، قال : ((مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: الْم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ))^(١). وأما الوالدان فلهم الأجر العظيم؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾^(٢).

أما السلف الصالح فتنبهوا لهذا، وحرصوا على تنشئة الصغار على القرآن، وكتب السير مليئة بالتراجم ممن حفظوا القرآن قبل العاشرة، فهذا تاج الدين زيد بن الحسن الكندي، قال الذهبي: "حفظ القرآن وهو صبغ مميذ، قرأه على أستاذه أبي محمد سبط الخياط، ومنه العجب أنه قرأ القرآن بالروايات العشر وهو ابن عشر سنين"^(٣). وقال الشافعي: كنت بينما في حجر أمي، فدفعني إلى الكتاب، ولم يلك عندها ما تعطي المعلم...، فكانت تقول: اطلب العلم وأنا أكفيلك بمغزلي هذا!؟!

(١) رواه الترمذي في فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن... وقال: حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح الترمذي

(٢) سورة الكهف [٣٠].

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٣٤/٢٢).

وهذا أحمد بن حنبل كان - أيضاً - يتيماً، يقول: "كنت وأنا غليم أختلف إلى
الكتاب.."، وكانت أمه تأخذ بيده إلى المسجد، وتجلس عند عتبة المسجد حتى يخرج؟!.

هكذا فلتكن الأمهات، وهكذا تربية الفلذات، وحتى لا يحتج البعض أن
الزمان غير الزمان، فاسمعوا لهذه الأم، أم الخاتمات، أم لتسعة أطفال، سبعة منهم
أتموا حفظ القرآن، خمس بنات، وولدان، أصغر الخاتمات سنًا عمرها تسع سنوات
ونصف، تقول الأم: "بدأت معهم من عمر سنتين، أخذهم معي في المطبخ، أقرأ
ويرددون وراءني، أسمع لكل منهم يومياً جزءين، لا خادمة لدي، فأنا بفضل الله أقوم
بأعمال المنزل، وتحفيظ أولادي، وكلهم الأوائل في دراستهم بفضل الله" فأي أم
هذه؟! وأين الأمهات منها؟

ومن البشائر - والحمد لله - أن هناك الكثير من الشباب الصغار والكبار
الذين أتموا حفظ القرآن، فأصبحوا منارات إشعاع، وفخرًا لنا جميعاً، وهذه بشائر
تلوح في الأفق، تعلن سلامة المنهج، والسير على طريق سلفنا الصالح رضوان الله
عليهم، وهذا بفضل الله أولاً، ثم بفضل هذه المناشط التي تعنتني بتحفيظ القرآن،
المنتشرة في ربوع البلاد الإسلامية، فجزى الله المسؤولين والقائمين عليها خير
الجزاء، لكننا كم نود أن تعنتني مع الحفاظ بفهم القرآن، وتشجيع الشباب على
تدبره .

روحانية صائغ

حكى الشيخ ابن ظفر المكي: " أه أبا يزيد طيفور به عيسى البسطامي كان صغيراً، لما تحفظ:
﴿ يَا أَيُّهَا الْمُرْتَدُّ () قُمْ إِلَيْكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾^(١) قال لأبيه: يا أبت! مه الذي يقول الله -تعالى- له هذا؟
قال: يا بني! ذلك النبي ﷺ . قال: يا أبت! مالك لا تصنع كما صنع ﷺ؟! "

قال: يا بني! إن قيام الليل خصص به وبافتراضه دونه أمته؟ فسكت عنه. فلما تحفظ قوله -
سبحانه-: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِ اللَّيْلِ مِنْ ثُلُثِهِ وَتَأْتُهُ مِنَ الطَّائِفَةِ مِنَ الَّذِينَ هَكَذَا ﴾^(٢). قال: يا أبت! إني أسمع أن طائفة كانوا يقومون الليل، فمه هذه الطائفة؟ قال: يا بني! أولئك
الصحابة رضي الله عنهم، قال: يا أبت! فأني خير في ترك ما عمله النبي ﷺ وأصحابه؟ قال: صدقت يا بني!
فكان أبوه بعد ذلك يقوم مع الليل ويصلي . فاستيقظ أبو يزيد ليلة فإذا أبوه يصلي، فقال: يا أبت! علمني كيف
أتطهر وأصلي معك، فقال أبوه: يا بني! ارقد فإنك صغيد بعد، قال: يا أبت! إذا كان يوم يصدر الناس أشدنا
ليدوا أعمالهم أقول لربي: إني قلت لأبي: كيف أتطهر لأصلي معك؟ فأبي، وقال لي: ارقد، فإنك صغيد بعد،
أحب هذا؟ فقال له أبوه: لا والله يا بني! ما أحب هذا، وعلمه فكان يصلي معه"^(٣).

نفحة الأبرار تحيي الأمتا

هم الأحرار تحيي الرمما

هكذا هم أبناء المسلمين وشباب الإسلام إذا نهلوا من القرآن وقرءوه حق
قراءته، بفهم وتدبر لمعانيه، نسال الله الكريم المنان، أن يمن علينا بتدبر القرآن، وأن
نجد حلاوته عند تلاوته، ونعوذ بالله من قلب لا يخشع، وعين لا تدمع. اللهم

(١) سورة المزمل [١-٢].

(٢) سورة المزمل [٢٠].

(٣) علو الهمة لمحمد لأحمد إسماعيل المقدم (ص ٣٨٠) وحكاة عن الشيخ ابن ظفر المكي.

روحانية صائت

اجعلنا من أهل القرآن، الذين هم أهل الله وخاصته، اللهم عظم حب القرآن في قلوبنا، وقلوب أبنائنا، واجعلنا ممن تعلم القرآن وعلمه، اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، وشفاء صدورنا، اللهم ارزقنا تلاوته على الوجه الذي يرضيك عنا، الحمد لله رب العالمين.

سؤال الحلقة

((كان جبريل -عليه السلام- يتعاهد النبي ﷺ في كل سنة؛ فيعارضه بما نزل عليه من رمضان إلى رمضان، فلما كان العام الذي توفي فيه عارضه به ..((.....))

١ ٣ مرات

٢ ٥ مرات

٣ مرتين

روحانية صائغ

[n]

كيف كانوا يقرءون القرآن؟

شاهد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه

وبعد: فيقول ربنا - تبارك وتعالى - مادحاً الذين إذا سمعوا القرآن خشعوا

له، وفاضت أعينهم من الدمع : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْهِ الرَّسُولَ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ

مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾^(١).

هذا ثمار فهم القرآن وتدبره، وصفة من صفات عباد الرحمن، كما أخبر الله

عنهم: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يُؤْمَرُوا عَلَيْهَا حُمْلاً وَهَمِيَانًا ﴾^(٢).

قالت أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - : " كان أصحاب النبي ﷺ إذا قرئ

عليهم القرآن كما نعتهم الله، تدمع أعينهم، وتتشعر جلودهم"^(٣).

قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: " لو أنه قلوبنا طهرت ما شبعنا من كلام ربنا، وإنني لأكره أن يأتي

عليّ يوم لا أنظر في المصحف..."^(٤).

(١) سورة المائدة [٨٣] .

(٢) سورة الفرقان [٧٣] .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢١٨/١٥)؛ في تفسير الآية (٢٣) من سورة الزمر والبغوي (٢٣٨/٧).

(٤) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (٣٧٩/١)، ونحوه عند عبد الله بن أحمد في السنة (١/١٤٧، ح: ١٢٢).

روحانية صائغ

ولذلك ورد أنه قتل والمصحف بين يديه ﷺ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُدِبُّ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ يُدِبُّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَلْيَعْرِضْ نَفْسَهُ عَلَى الْقُرْآنِ، فَإِنَّ أَحَبَّ الْقُرْآنِ فَهُوَ يُدِبُّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّمَا الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(١).

إخوة الإيمان! لقد خرَّج هذا القرآن جيلاً من الصحابة مميّزاً في تاريخ الإسلام كله، بل في تاريخ البشرية جميعها. إن هذا القرآن لا يمنح كنوزه إلا لمن يقبل عليه بروح الاستجابة والعمل، فحينما نزلت آية تحريم الخمر - مثلاً - مشى رجل في سكك المدينة يعلن: ألا إن الخمر قد حرمت؟ فماذا حصل؟! كل من كان في يده قَدَحٌ خمر رماه، بل كل من كان في فمه شربة مجّها، ومن كان عنده في أوان أراقها، استجابةً وطاعةً لأمر الله تعالى، نسأل الله على أن يرزقنا طاعته، وسرعة الاستجابة. هل سألنا أنفسنا: كيف يجب أن نقرأ القرآن؟ (للإجابة على السؤال تعال نستمع إلى هذه المحاضرة { كيف نقرأ القرآن }) وما أثر هذه القراءة على قلوبنا؟ اسمعوا كيف كانوا يقرأون القرآن، وكيف سما بهم الإيمان، قال النووي - رحمه الله - : "وقد بات جماعة من السلف يتلو الواحد منهم الآية الواحدة ليلة كاملة، أو معظم ليلة يندبرها عند القراءة"^(٢).

(١) رواه عبد الله بن أحمد في السنة (١/١٤٨، ح: ١٢٥).

(٢) الأذكار (ص ١٦١).

ومن ذلك قيام رسول الله ﷺ ليلة بأية واحدة يردّها: ﴿إِنْ نَفَذْتُمْ فَإِنَّهُمْ
عِبَادُكَ وَإِنْ تَفُورَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْفَزِيرُ الْهَكِيمُ﴾^(١).

وقام تميم بن أوس الداري ﷺ ليلة بهذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ
أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مِمَّنَّاهُمْ وَمِمَّنَّاهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾^(٢)،
جعل يردّها ويبكي حتى أصبح^(٣).

"ردّد سعيد بن جبير وهو يوم في شهر رمضان: ﴿سَوْفَ يَفْلُحُونَ﴾ [إِذَا الْفُلُجَانُ فِيهِ
أَعْتَقَهُمْ وَالسَّاسِلُ يُسَبِّحُونَ] فِيهِ الْهَمِيمُ ثُمَّ فِيهِ النَّارُ يُسْبَرُونَ﴾^(٤) مراراً، وقام ليلة يصلي
فقرأ: ﴿وَأَقْبُوا بِنُورِهَا رَبِّهِمْ فِيهِ إِلَهٌ اللَّهُ﴾^(٥). فردّد بضعة وعشرين مرة، وكان يبكي بالليل حتى
عمشت^(٦). وكان هارون بن رباب الأسيدي يقوم من الليل للتعبّد فردد هذه الآية حتى يصبح:
﴿فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٧). ويبكي حتى يصبح^(٨).

(١) سورة المائدة [١١٨]. والحديث رواه أحمد والنسائي وابن ماجه في إقامة الصلوات. وابن خزيمة في صحيحه، والحاكم وصححه.

قال ابوصيري في الزوائد إسناده صحيح ورجاله ثقات. وحسنه الألباني في صحيح النسائي.

(٢) سورة الجاثية [٢١].

(٣) رواه أحمد وابن المبارك في (الزهدي). قال الحافظ في الإصابة (١/١٨٤): رواه البغوي في (الجعديات) بإسناد صحيح إلى مسروق.

(٤) سورة غافر [٧٠-٧٢].

(٥) سورة البقرة [٢٨١].

(٦) رواه محمد بن نصر في قيام الليل (مختصر قيام الليل ص ١٣٣).

(٧) سورة الأنعام [٢٧].

(٨) رواه محمد بن نصر في قيام الليل (مختصر قيام الليل ص ١٣٣).

وردد الحسن البصري ليلةً: ﴿ وَإِنْ نَعُدُّهَا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصِيهَا ﴾^(١)، حتى أصبح، فقيل له في ذلك، فقال: إن فيها معنبراً، ما نرفح طَرْفًا ولا نرده إلا وقع على نعمة، وما لا نعلمه من نعم الله أكثر^(٢). ومحمد بن المنكدر يسأله أبو حازم عن البكاء طيلة ليلة، فيقول: آية من كتاب الله أبكتني: ﴿ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾^(٣).

وقال بعضهم: إنني لأفتتح السورة فيوقفني بعض ما أشهد فيها، عن الفرائخ منها حتى يطلع الفجر^(٤). وكان بعضهم يقول: آية لا أفهمها، ولا يكون قلبي فيها، لا أعُدُّ لها ثواباً^(٥).

ويقول أبو سليمان الداراني: ربما أقمت في الآية الواحدة خمس ليال، ولولا أنني أدخ الفكرة فيها ما جُرْتُها أبداً، ولربما جاءت الآية من القرآن فيطير العقل، فسبحان الذي يردده^(٦).

وقيل لبعضهم: إذا قرأت القرآن تحدث نفسك بشيء؟ فقال: أو شيء أحب إلي من القرآن حتى أحدث به نفسي؟ وكان بعض السلف إذا قرأ آية لم يلكه قلبه فيها أعادها ثانية^(٧).

(١) سورة النحل [١٨].

(٢) رواه محمد بن نصر في قيام الليل (مختصر قيام الليل ص ١٣٤).

(٣) سورة الزمر [٤٧].

(٤) إحياء علوم الدين (١/٣٣٣).

(٥) المرجع السابق.

(٦) صفة القوة (٤/٢٣٢).

(٧) إحياء علوم الدين (١/٣٣٢).

ولا يختص الأمر بالرجال دون النساء، فعن عبدالوهاب بن عباد بن حمزة عن أبيه عن جده قال: بعثني أسماء إلى السوق، وافتتحت سورة الطور، فانتهت إلى قوله: ﴿وَهَؤُلَاءِ عَذَابَ السُّهُومِ﴾ فذهبت إلى السوق ورجعت وهي تكرر ﴿وَهَؤُلَاءِ عَذَابَ السُّهُومِ﴾^(١).

أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن عمرو بن ميمون قال: مرَّ النبي ﷺ على امرأة تقرأ: ﴿هَلْ آتَاكَ صَوبُ الْمَآشِئِ﴾ فقام -عليه الصلاة والسلام- يستمع ويقول: ((نعم قد جاءني))^(٢) هذا حال النساء المؤمنات.

أما الكبار من الرجال، فقد قال أبو بكر بن عياش: سمعت أبا إسحاق السبيعي يقول: كبر سني، وذهبت الصلاة مني، ومنعت، ورق عظمي، وإني اليوم أقوم في الصلاة فما أقرأ إلا بالبقرة وآل عمران^(٣). لا إله إلا الله! لما كبر سنه، ورق عظمه، لم يعد يقدر على القيام في الليلة الواحدة إلا بنحو أربعة أجزاء، وكان - رحمه الله - قد ضعف عن القيام فكان لا يقدر أن يقوم إلى الصلاة حتى يقام، فإذا أقاموه واستتم قائماً، قرأ ألف آية وهو قائم.

فما حال شباب اليوم؟! هل سمعتم - يا شباب القرآن - عن علي بن الفضيل بن عياض؟! شاب له قصة غريبة على مسامعنا، قال أبو بكر بن عياش:

(١) سورة الطور [٢٧]. روى الأثر محمد بن نصر في قيام الليل (مختصر قيام الليل للمقرئ ص ١٣١).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠ / ٣٤١٤) بإسناده من مرسل عمرو بن ميمون، وهو مخضرم، أدرك الجاهلية، ولم يلق النبي ﷺ، وبقية رجاله ثقات، والله أعلم. وذكره ابن كثير في تفسيره (٤٠٦/٨).

(٣) سير أعلام النبلاء (٤٤٣/٨).

"صليت خلف فضيل به عياض المغرب، وابنه علي إلى جانبي، فقرأ ﴿الْمَائِدَةَ الْكَاسِرَةَ﴾، فلما قال: ﴿لَسْرُونِي النَّجِيمَ﴾ سقط علي على وجهه مغشياً عليه، وبقي فضيل عند الآية. فقلت في نفسي: ويحك أما عندك من الخوف ما عند الفضيل وعلي، فلم أزل أنتظر علياً، فما أفاق إلي ثلث من الليل بقي^(١).

قال الفضيل: أشرفت ليلة علي علي، وهو في صحن الدار، وهو يقول: النار، ومتى الخلاص من النار؟! وقال لي: يا أبة، سل الذي وهبني لك في الدنيا أن يهبني لك في الآخرة، ثم قال: لم ينزل منكسر القلب حزناً، ثم بكى الفضيل ثم قال: كان يساعدي على الحزن والبكاء، ياشمة قلبي، شكر الله لك ما قد علمه فيك^(٢). وقال محمد بن ناجية: صليت خلف الفضيل، فقرأ ﴿الْحَاقَّةُ﴾ في الصبح، فلما بلغ إلى قوله: ﴿فَذُوقُوا فَغُلُوبَهُ﴾^(٣). غلبه البكاء، فسقط ابنه علي مغشياً عليه^(٤).

أعرفتم - يا شباب - بأي شيء اشتهر علي بن الفضيل؟ لم يشتهر باحتراف الفن أو الرياضة، بل بشدة خوفه وغشيانه عند سماع القرآن، حتى اشتهر بقتيل القرآن، وكان قتيلاً للقرآن فعلاً، فقد قال الخطيب: مات علي قبل أبيه بمدة من آية سمعها تقراً، فغشي عليه، وتوفي في الحال^(٥). قال إبراهيم بن بشار: "الآية التي مات فيها علي به الفضيل في الأنعام: ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ إِذْ هُتِفُوا عَلَيْهِمُ النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾"^(٦)، مع هذا الموضوع مات، وكنت فيمده صلى عليه، رحمه

(١) سير أعلام النبلاء (٤٤٣/٨).

(٢) حلية الأولياء (٢٩٩/٨) وسير أعلام النبلاء (٤٤٤/٨).

(٣) سورة الحاقة [٣٠].

(٤) المرجع السابق (٤٤٣/٨).

(٥) تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٩٧/٢١)، وسير أعلام النبلاء (٤٤٣/٨).

(٦) سورة الأنعام [٢٧].

روحانية صائغ

الله^(١). لا إله إلا الله! ما أرق هذه القلوب! لله درك يا ابن الفضيل! أي خوف هذا الذي بلغ بك ما بلغ!؟ وأي فتى كنت مع القرآن!؟ حدثت شباب الإسلام عن حضور القلب والتدبر عند حفظهم للقرآن، حدثهم عن أثر القرآن على الأخلاق والجد وعفة اللسان، أخبرهم - يا ابن الفضيل - عن حقيقة الالتزام، وكيف يحفظ القرآن.

يا شباب! هذا هو علي بن الفضيل، وهذه هي حاله مع القرآن، وهذا هو لقبه: (قتيل القرآن)، القرآن الذي هجره بعض الشباب؛ فريماً مرَّ الشهر والشهران والثلاثة لم يقرأ منه شيئاً، فضلاً عن أن يحفظ، أو يتدبر الآيات ويبكي!؟.

سؤال الحلقة

من هو الخليفة الذي قتل والمصحف بين يديه:

١ عثمان بن عفان

٢ علي بن أبي طالب.

٣ عمر بن الخطاب

(١) سير أعلام النبلاء [٤٤٦/٨].

[٩]

المنهج الصحيح في قراءة القرآن ومفظه

شاهد

الحمد لله الذي أنزل القرآن على رسوله محمد ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً .

أما بعد: فليس المقصود من تلاوة القرآن مجرد تلاوة اللفظ فحسب، بدون فهم أوبيان ، قال تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولَئِكَ الْأَنْبَاءِ ﴾^(١). وقال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَخْلُقُونَ الْكِتَابَ إِلَّا آفَاتِهِ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾^(٢). قال الشوكاني: "الأمانى: التلاوة، أي لا علم لهم إلا مجرد التلاوة دون تفهم وتدبر"^(٣). وقال ابن القيم: " فم من سبحانه وتعالى المحرفيه لكتابه، والأمية الذي لا يعلمون منه إلا مجرد التلاوة؛ وهي الأمانى"^(٤).

(١) سورة ص [٢٩].

(٢) سورة البقرة [٧٨].

(٣) فتح القدير للشوكاني (١/١٠٤).

(٤) الصواعق المرسله (٣/١٠٤٩).

روحانية صائغ

ولما راجع عبدُ الله بن عمرو بن العاص النبي ﷺ في قراءة القرآن لم يأذن له في أقل من ثلاث ليالٍ وقال: ((لَمْ يَفْقَهُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِيهِ أَقَلُّ مِنْ ثَلَاثٍ))^(١). فدل على أن فقه القرآن وفهمه هو المقصود بتلاوته لا مجرد التلاوة.

قال ابن القيم: "والمقصود التلاوة الحقيقية، وهي تلاوة المعنى واتباعه، تصديقاً بخبره، وانتمائاً بأمره، وانتهاءً بنهيه، وانتمائاً به، حيث ما قادك انقادت معه، فتلاوة القرآن تناول تلاوة لفظه ومعناه، وتلاوة المعنى أشرف منه مجرد تلاوة اللفظ، وأهلها هم أهل القرآن الذين لهم الثناء في الدنيا والآخرة؛ فإنهم أهل تلاوةٍ ومتابعةٍ حقاً"^(٢).

وروى حذيفة رضي الله عنه أنه صلى مع النبي ﷺ ذات ليلة فكان ((يقرأ مُتْرَسَلًا؛ إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا نَسْبِجٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُورَةٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِنَعْوَذٍ نَعَوَّذَ))^(٣).

قال ابن مسعود رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا هُمْ أَكْبَرُ بِأَلْوَانِهِمْ مَقَّةً نَّالُوهُ..﴾^(٤): "والذي نفسي بيده إن حق تلاوته، أن يحل حلاله، ويحرم حرامه، ويقراه كما أنزله الله، ولا يحرف الكلم عن مواضعه، ولا يتأول منه شيئاً على غير تأويله"^(٥).

(١) رواه أبو داود في الصلاة، باب في كم يقرأ القرآن. والترمذي في القراءات، باب ما جاء أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في إقامة الصلاة، باب في كم يستحب يختم القرآن. وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١١٠٧).

(٢) مفتاح دار السعادة (٤٢/١).

(٣) جزء من حديث رواه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل.

(٤) سورة البقرة [١٢١].

(٥) جامع البيان للطبري (٤١١/١).

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: "كان الفاضل من أصحاب رسول الله ﷺ في صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة ونحوها وُرِّقوا العمل بالقرآن، وإن آخر هذه الأمة يقرؤون القرآن، منهم الصبي والأعمى ولا يُرَقون العمل به"^(١). وفي هذا المعنى قال ابن مسعود رضي الله عنه: إنا صعب علينا حفظ ألفاظ القرآن، وسهل علينا العمل به، وإن من بعدنا يسهل عليهم حفظ القرآن ويصعب عليهم العمل به"^(٢). ولهذا كان الصحابة - رضي الله عنهم - لا يتجاوزون العشر آيات حتى يعلموا ما فيهن من العلم والعمل، كما قال التابعي الجليل أبو عبد الرحمن السلمي^(٣).

وهذا يدل على أن الصحابة - رضي الله عنهم - كانوا يتعلمون من النبي ﷺ التفسير مع التلاوة، فبين رضي الله عنه لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٤). فكان البيان منه ﷺ بالألفاظ والمعاني، فلم لا نعتني بالمعاني، ليخالط القرآن اللحم والدم، ويستنير القلب، وينشرح الصدر، وندوق حلاوة التلاوة؟ فحقيقة التلاوة، إنما هي بالتأمل والتدبر عند

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧٥/١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، (٧٥،٧٦/١) وانظر مجلة المجتمع عدد (١٢١٦).

(٣) رواه أحمد (٤١٠/٥). قال الهيثمي في المجمع: "وفي إسناد عطاء بن السائب، اختلط في آخر عمره".

(٤) سورة النحل [٤٤].

القراءة؛ ﴿ أَفَلَا يَدَّبَّرُونِ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَّمَهُ قُلُوبُهُمْ أَقْفَالَهَا ﴾^(١) ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾^(٢).

وفي موطأ مالك أنه بلغه: " أن ابن عمر مكث على سورة البقرة ثماني سنين يتعلمها"^(٣). وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: " تعلم عمر البقرة في اثنتي عشرة سنة، فلما ختمها نحر جزواً"^(٤).

هذا هو منهج السلف في قراءة وحفظ القرآن، فهل نراجع أنفسنا ونصحح المسار؟ والكلام في هذا يحتاج لبسط وتفصيل ليس هذا مقامه، لكنني أختمه بكلام جميل نفيس لأحمد بن أبي الحواري حيث يقول: "إني لأقرأ القرآن، وأنظر في آية، فيحير عقلي بها، وأعجب من حفاظ القرآن؛ كيف يهنيهم النوم، ويسعهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا، وهم يتلون كلام الله؟! أما إنهم لو فهموا ما يتلون، وعرفوا حقه، وتلذذوا به، واستحلوا المناجاة به، كذهب عنهم النوم فرحاً بما قد زُفوا"^(٥). ويؤكد هذا الزركشي بقوله: "من لم يلك له علم وفهم وتقوى وتدبر، لم يدرك من لذة القرآن شيئاً"^(٦).

(١) سورة محمد [٢٤].

(٢) سورة ص [٢٩].

(٣) رواه مالك في الموطأ، كتاب القرآن، باب ما جاء في القرآن (٢٠٥/١).

(٤) ذكره الخطيب البغدادي في كتابه (أسماء من روي عن مالك). قاله القرطبي في مقدمة تفسيره (٧٥/١).

(٥) انظر: لطائف المعارف لابن رجب (ص ١٩٣).

(٦) البرهان (١٧١/٢).

ويقول ابن جرير الطبري: "إنّي لأعجب ممه قرأ القرآن ولم يعلم تأويله كيف يلتذ بقراءته!
" (١). ويقول أيضاً: "وحاجة الأمة ماسة إلى فهم القرآن" (٢).

وأقول: بل هي اليوم أحوج ما تكون لفهم القرآن، وإن علماء الأمة وطلاب
العلم ودعاتها وأخبارها أولى من غيرهم لفهم القرآن؛ لينيروا للأمة طريقها بنور
القرآن

ومن أعظم ما يعين على فهم القرآن، وفهم المراد منه، النظر في سياق الآيات،
مع العلم بأحوال الرسول ﷺ وسيرته مع أصحابه وأعدائه، وقت نزوله، خصوصاً إذا
انضم إلى ذلك معرفة علوم العربية على اختلاف أنواعها (٣).

تدبر القرآن دواء القلوب: قال إبراهيم الخواص: "دواء القلب خمسة أشياء: قراءة
القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين" (٤).

وقال مالك بن دينار: "يا حملة القرآن! ما ذا زرع القرآن في قلوبكم؟! فإن القرآن ربيع
المؤمنين كما أن الغيث ربيع الأرض" (٥).

(١) معجم الأدباء (٦٣/١٨).

(٢) مقدمة في أصول التفسير (ص ٢).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص ٣٠).

(٤) الحلية لأبي نعيم (٣٢٧/١٠).

(٥) الزهد للإمام أحمد (ص ٤٤٦).

يقول ابن القيم: "فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالنذر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها، فإذا قرأه بتفكير حتى مر بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه، كرهها ولو مائة مرة ولو ليلة، فقراءة آية بتفكير وتفهم خير من قراءة خمثة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب، وأدعى إلى حصول الإيمان، وذوق حلوة القرآن... فقراءة القرآن بالتفكير هي أصل صلاح القلب"^(١).

إذا فليكن هم المسلم عند التلاوة للرسالة إذا افتتحها: متى أفهم هذه الآية؟ متى أتعظ؟ متى أعتبر؟ وليس مراده: متى أختتم السورة؟

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "لا تعذبوا القرآن كهذا الشعر، ولا تنثروه كنثر الدقل؛ ففوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يلك هم أحدكم آخر السورة"^(٢).

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ قِرَاءَةً الَّذِي إِذَا قَرَأَ رَأَيْتَ أَنَّهُ يَخْشَى اللَّهَ))^(٣).

إذا فلسنا على شيء حتى نفهم القرآن، ونعمل به. قال الحسن البصري - رحمه الله - : «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ مَا هُوَ فَلْيَعْرِضْ نَفْسَهُ عَلَى الْقُرْآنِ»^(٤).

(١) مفتاح دار السعادة (١/١٨٧).

(٢) مختصر قيام الليل للمقرئ (ص ١١٦).

(٣) رواه الضياء في "المختارة". ومحمد بن نصر في "الصلاة". وغيرهما. وصححه الألباني في الصحيحة.

(٤) الزهد لابن المبارك (ص ١٣). وأخلاق حملة القرآن، للأجري (٢٠).

وإن من كان قبلنا رأوا القرآن رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل، وينفذونها بالنهار، فهل نحن كذلك؟ هل نحن نقرأ وننفذ، وكيف سننفذ وربما لم نفهم المعنى؟ فلا بد من التدبر للمعاني، ومما يعين على ذلك:

- ١- مراعاة آداب التلاوة؛ من طهارة، وإخلاص، واستعاذة، وبسمة .
- ٢- محاولة تفريغ النفس من شواغلها، وحصر الفكر مع القرآن، والخشوع والتأثر.
- ٣- التلاوة بتأنٍ، وتدبر، وانفعال، وخشوع، وألا يكون همه نهاية السورة، بل الوقوف أمام الآية التي يقرأها وقفة متأنية، فاحصة مكررة، ومن ثم العودة المتجددة للآيات.
- ٤- النظرة التفصيلية في سياق الآية: تركيبها، معناها، نزولها، غريبها، دلالاتها.
- ٥- ملاحظة البعد الواقعي للآية؛ بحيث يجعل من الآية منطلقاً لعلاج حياته وواقعه.
- ٦- العودة إلى فهم السلف للآية، والاطلاع على آراء بعض المفسرين في الآية...

روحانية صائغ

٧- الثقة المطلقة بالنص القرآني، وإخضاع الواقع المخالف له، مع الاستعانة بالمعارف والثقافات الحديثة لفهم أوسع .

٨- القراءة في الكتب المتخصصة في أصول التفسير وقواعده، مثل: (مقدمة في أصول التفسير) لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكتاب (القواعد الحسان لتفسير القرآن) للسعدي، وكتاب : (مفاتيح للتعامل مع القرآن) للخالدي، وكتاب: (قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل)، لعبد الرحمن حبنكة الميداني، وكتاب: (دراسات قرآنية) لمحمد قطب.. وغيرها من الكتب المفيدة^(١).

سؤال الحلقة

- المقصود من تلاوة القرآن
- ١ الحفظ
 - ٢ القراءة وتجويد الصوت
 - ٣ الفهم والتدبر

(١) انظر مقالاً جميلاً بعنوان: (تدبر القرآن.. لماذا وكيف؟) لإبراهيم التركي، مجلة البيان - العدد: ١٤٤- (ص ٢٠) شعبان ١٤٢٠ هـ .

(١٠)

الصدقة في رمضان

شاهد

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وصلى الله وسلم على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد: الصدقة في رمضان لها مذاق خاص عند المسلمين، ولذة عجيبة! ولا عجب؛ فإن رسول الله ﷺ: ((كَانَ أَجُودَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجُودَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ))^(١).

(تعالوا نستمع سوياً إلى المحاضرة القيمة {رمضان شهر أجود})

وعند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا شَكَأَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَسْوَةَ قَلْبِهِ، فَقَالَ لَهُ: ((إِنْ أَرَدْتَ تَلْيِينَ قَلْبِكَ؛ فَأَطْعِمِ الْمُسْكِينِ، وَأَمْسَحْ رَأْسَ الْبَيْتِيمِ))^(٢).

عائشة أم المؤمنين - رضي الله تعالى عنها - أنفقت في يوم واحد مئة ألف درهم، ولم تبق شيئاً، فقالت لها بريدة: أنت صائمة، فعلاً ابتعت لنا بدرهم لحمًا؟ فقالت عائشة: " لو أني ذكرتُ لفعلت "^(٣).

(١) رواه البخاري في بدء الوحي، باب بدء الوحي .

(٢) رواه أحمد والبيهقي، وحسنه ابن حجر في الفتح(١٥١/١١). كما حسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک (١٣/٤). وأبو نعيم في الحلية (٤٧/٢). وسير أعلام النبلاء (١٨٧/٢).

روحانية صائمه

سبحان الله! ما هذا السمو العجيب؟ وما هذه الروحانية العجيبة في

النفس الصائمة؛ حتى إنها لتنسى نفسها، وحاجاتها ومطالبها!؟

وكان ابن عمر - رضي الله عنهما - يصوم، ولا يفطر إلا مع المساكين؛ فإذا منعه أهله عنهم لم ينعش تلك الليلة^(١).

وجاء سائل إلى الإمام أحمد، فذبح إليه رغيفه كان يعدّها لفطره، ثم طوى وأصبح صائماً!!^(٢). ونقل عن الشعبي قوله: "من لم ير نفسه إلى ثواب الصدقة أحوط من الفقير إلى صدقته فقد أبطل صدقته، وضرب بها وجهه"^(٣).

هكذا نحيا في رمضان؛ فهو مدرسة، تستثير الشفقة، وتحض على الصدقة، وهو شهر يعلمنا الجود والإحسان، ليس في رمضان فقط، بل على الدوام، ﴿وَمَا نُفِقُوا مِنْ قَبْرِ فَلْأَنْفُسِكُمْ وَوَمَا نُفِقُوا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَوَمَا نُفِقُوا مِنْ قَبْرِ يُؤْفَى إِلَيْكُمْ وَوَأَنْتُمْ لَا تظلمون﴾^(٤).

والصدقة من دواعي القبول للأعمال والعبادات، ونحن بحاجة ماسة شديدة لنضعها وأجرها وظلّها يوم القيامة ، فلم لا تجعل لك مقداراً من الصدقة

(١) لطائف المعارف (ص ١٨٨).

(٢) المرجع السابق (ص ١٨٩).

(٣) إحياء علوم الدين (١/ ٢٢٦)، والمستطرف في كل فن مستطرف (ص: ١٦).

(٤) سورة البقرة [٢٧٢].

تعاهدُ نفسَكَ على إخراجها كلَّ ليلةٍ، وتداومُ عليها، وتنوِّعُها؛ فتارةً مالاً، وتارةً طعاماً، وتارةً لباساً، وتارةً فاكهةً أو حلوى، وتتحسَّسُ بيوتَ الفقراءِ والمساكينِ بنفسِكَ لتوصلها إليهم .

وأنصحُك بألاَّ يعلمَ هذا العَمَلُ أحدٌ غيرك، فإنَّك بحاجةٌ إلى عَمَلِ السِّرِّ بينك وبين الله، فكم من الأجرِ العظيمِ سينالُك بهذا الفِعلِ، وقد وردَ مثل هذا عن عددٍ كبيرٍ من السلفِ الصَّالح - رضوان الله تعالى عليهم - بتحسُّسِ بيوتِ الفقراءِ والمساكينِ سرّاً، فهل تفعلُ ذلك؟ وتحرصُ على هذه العبادةِ العظيمةِ في السرِّ بينك وبين الله؟.

ففي البيوتِ أسرار، وفي المجتمعِ صور وأخبار، أرامل وأطفال صغار، ومسنون وعجزة كبار، عضهم البؤس بنابه، وأوجعهم الفقر بكلابه، لا موارد لهم، آه لو رأيتهم، وبيوتهم وأحوالهم، يتحدثون فتظنهم من الأغنياء، وهم أهل تعفف وحياء، والله أعلم بما يقاسون، من الهموم والديون، ومن ألم الحاجة والفقر، والشدة والعسر .

يصارعُ وطأةَ الأيامِ حتى
ويحملُ فوقَ عاتقه همومًا
يسيرُ هناكَ متئدًا هزيلًا
يعاني الفقرَ لا بدري لماذا
رنا للأفقِ فاسودت رؤاه
بنوءَ بها، وقد ثقلت خطاهُ
فهل تدري لِمَ خارت قواهُ؟
يغالبه ويمعنُ في أذاه

هؤلاء ورد في القرآن وصفهم: ﴿يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِعْجَابًا مِنْ الْأَغْنِيَاءِ مِنَ الْأَهْقَافِ أَنْ يَرْفُحَهُمْ

بَسِيْفَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِعْجَابًا﴾^(١).

وأوصى بهم النبي ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري قال: ((لَيْسَ الْمُسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ، تَرُدُّهُ اللَّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، وَالنَّمْرَةُ وَالنَّمْرَتَانِ، وَكِنَّ الْمُسْكِينُ الَّذِي لَا يَجِدُ غِنَى يَغْنِيهِ، وَلَا يَفْطَنُ بِهِ فَيَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ، وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ))^(٢).

هؤلاء هم الذين ينبغي العناية بهم، والبحث عن أحوالهم، هؤلاء هم الذين يجب على جيرانهم التعريف بهم، هؤلاء هم الذين حق على أقبائهم تفقد أحوالهم، هؤلاء هم الذين يجب على الأغنياء إعطاؤهم زكواتهم وصدقاتهم، لتقع الصدقة حقًا موقعها، ولتصيب الزكاة هدفها .

(١) سورة البقرة [٢٧٣].

(٢) رواه البخاري في الزكاة، باب قول الله عز وجل: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِعْجَابًا﴾. ومسلم في الزكاة، باب المسكين الذي لا يجد غنى، ولا يفتن له فيتصدق عليه .

أعرف رجلاً يشتري في كل ليلة من رمضان ما لذ وطاب من الطعام،
فيتحسس بيوت المحتاجين، ثم يضع صدقته على عتبة باب المحتاج، والغريب أنه
يقرع الباب ثم يهرب بسرعة متلثماً خشية أن يراه أحد.

سبحان الله! لماذا يهرب؟ ومن أي شيء يفر؟ إنه لا يريد أن يراه أحد من
المخلوقين؟ إنه صاحب غفلة وتقصير، فيريد أن يطفئ غضب الرب بصدقة السر،
يريد الظل يوم تدنو الشمس من الخلائق فتلجمهم، في وقت هو أحوج ما يكون
فيه إلى الظل، كما في المسند للإمام أحمد عن يزيد بن أبي حبيب يحدث أن أبا
الخير حدثه أنه سمع عتبة بن عامر رضي الله عنه يقول: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((كُلُّ
أَمْرٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ، حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ - أَوْ قَالَ - يُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ)). قَالَ يَزِيدُ:
وَكَانَ أَبُو الْخَيْرِ لَا يُكْطِنُهُ يَوْمٌ إِلَّا تَصَدَّقَ فِيهِ بِشَيْءٍ، وَلَوْ كَعَلَّةٍ أَوْ بَصَلَةٍ أَوْ كَدَا^(١).

خرج عمر بن الخطاب يوماً في سواد الليل، يتسلل وحيداً حتى لا يراه أحد،
ودخل بيتاً، ثم دخل بيتاً آخر، لكن طلحة بن عبيد الله رآه فظن أن في الأمر شيئاً،
وأوجس طلحة في نفسه خيفة: لماذا دخل عمر هذا البيت؟ ولماذا وحده؟ ولماذا لا
يريد أن يراه أحد؟ ولما كان الصباح، ذهب طلحة فدخل ذلك البيت، فلم يجد

(١) رواه أحمد في المسند واللفظ له، قال المنذري: "رواه أحمد وابن خزيمة وابن حبان في "صحيحيهما" والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم". وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (ح ٨٦٦).

إلا عجوزاً عمياء مقعدةً، فسألها: ما بال هذا الرَّجُلِ يَأْتِيكَ؟! وكانت المرأة لا تعرف أنه عمٌّ به الخطاب، قالت العجوز: إنه يتعاهدني منذ كنا وكذا بما يصلحني، ويُخرج الأذى عن بيتي .

فله درك يا ابن الخطاب! لا يريد أن يراه أحدٌ فيفسدَ عليه عمله الذي هو سرُّ بينه وبين الله . ذكر الذهبيُّ في "السِّير" وابنُ الجوزيُّ في "صفة الصفوة": أنَّ عليَّ به الحسيه كان يحملُ جرابَ الخُبزِ على ظهره بالليلِ، فينصدُّ به ويقول: إِنَّ صَدَقَةَ السَّرِّ تَطْفِي عَضَبَ الرَّبِّ عِزًّا وَجَلًّا .

وعن عُمَرَ بنِ ثابتٍ قال: كَمَا ماتَ عَلِيُّ بِه الحُسيه فغَسَّلوه، جعلوا ينظرون إلى آثَارِ سوادٍ في ظهره، فقالوا: ما هذا؟! قالوا: كان يحملُ جُرْبَ الدَّقِيقِ . يعني أكياسَ الدَّقِيقِ . ليلاً على ظهره يعطيه فقراءَ أهلِ المدينة . وكان أهلُ المدينة يقولون: ما فقدنا صدقةَ السَّرِّ حَتَّى ماتَ عَلِيُّ بِه الحُسيه رضي الله تعالى عنهما

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: جَاءَتْنِي مَسْئِلَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتِي لَهَا، فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتْنِي كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً، وَرَفَعَتْ إِلَيَّ فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا، فَاسْتَطْعَمْتُهَا ابْنَتَهَا، فَشَقَّتْ التَّمْرَةَ - الَّتِي كَانَتْ تَرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا - بَيْنَهُمَا، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ))^(١) .

الله أكبر! ثمرة تنجي من النار! بل نصف ثمرة، فبخ يا عباد الله! اتقوا النار ولو بشق ثمرة، إنها عندكم ثمرة، ولكنها عند الله تربيو وتزيد كما روى أبو هريرة رضي الله عنه

(١) رواه ومسلم في البر والصلة، باب فضل الإحسان إلى البنات (ح ٢٦٣٠).

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ -وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ- وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِجَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ))^(١). الله أكبر! أين الموسرون؟ أين المحسنون؟ ذهب أهل الدثور بالأجور! أسرعوا قبل فوات الأوان، ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى اللَّهِ حَفِيظِينَ مَنْ رَبُّكُمْ وَجَنَّةٌ مَرْضَاةٌ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ () الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْفَيْضَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٢). أيها المسلمون! من الذي وعدكم إن أعطيتم وأنفقتم، أن يخلف عليكم ويضاعف لكم؟! أليس الله ربكم؟ أليس الذي بيده ملككم، وملك ملوككم؟ أليس الذي يعطي ويمنع؟ أليس الذي يخفض ويرفع؟ أليس الذي يفقر ويغني؟ أليس الذي بيده خزائن الكون، مالك الملك، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويرزق من يشاء بغير حساب، فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾^(٣).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ((مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا))^(٤).

(١) رواه البخاري في الزكاة، باب الصدقة من كسب طيب (ح ١٤١٠). ومسلم في الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وترتيبها (ح ١٠١٤).

(٢) سورة آل عمران [١٣٣-١٣٤].

(٣) سورة سبأ [٣٩].

(٤) رواه البخاري في الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿ فَمَا مِنْ أَعْطَى وَاتَّقَى () وَصَدَقَ بِالْحَسَنَى... ﴾ (ح ١٤٤٢). ومسلم في الزكاة، باب في المنفق والممسك (ح ١٠١٠).

الله أكبر! أين القلب الواثق؟ أين النفس المطمئنة، كأنها ترى الجنة؟ فيا له من فضل ومنة، انظر لأعلام الأمة؛ أبي بكر، وعمر - رضي الله عنهما - يتنافسان في الصدقة، عن عُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه يَقُولُ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالًا عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَا أَبْقَيْتَ لِأَوْلِكَ؟)) قُلْتُ: مِثْلَهُ، قَالَ: وَأَنْتَى أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَا أَبْقَيْتَ لِأَوْلِكَ؟)) قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: لَا أَسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا))^(١).

يا الله عجباً لهذه النفوس! هيأ إخوة الإيمان، هيأ فالصدقة برهان، ونحن في رمضان. وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

سؤال الحلقة

رسول الله ﷺ: ((كَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي))

١ العشر الأوائل من ذي الحجة

٢ الأعياد

٣ رمضان

(١) رواه أبو داود في الزكاة، باب الرخصة في ذلك (ح١٦٧٨). والترمذي في المناقب، باب مناقب أبي بكر رضي الله عنه (ح٣٦٧٥) وقال: حسن صحيح.

(III)

نوم رمضان والنفيير

شاهر

الحمد لله الذي أنعم علينا بإدراك رمضان، وجعلنا فيه من أهل الصيام والقيام، والصلاة والسلام على خير الرسل وخير الأنام، وعلى آله وصحبه ومن اتبعه بإحسان.

وبعد: هنيئاً لكم يا أهل الصيام والقيام! هنيئاً لكم يا أهل القرآن، هنيئاً لكم يا أهل الصدقات والإحسان، يا من تقومون على الأرملة والمسكين! أبشروا برحمة أرحم الراحمين، فهنيئاً لكل السابقين بالخيرات، والذين يجاهدون أنفسهم عن الشهوات، ويصبرون على الطاعات، هنيئاً لنا جميعاً بـرمضان، فإن رمضان إلى رمضان كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر! الله أكبر، إنه رمضان! حسنات تضاعف، وذنوب تغفر، ونفوس تسابق على الخيرات، وحرص على العبادات، واجتماع ومودة... إنها بشائر، فأبشروا عباد الله، وتفاءلوا



روحانية صائغ

لكم يا قوم إحسائي
نعند في قفر أنعاسي
ببيل حرقه الآسي
نحطم صخرة الياسر

بشاراتي يفيض بها
بشاراتي زهور أي
بشاراتي ندى أمل
بشاراتي أعاصير

أيها المسلمون! أيها الصائمون! نحن أحوج ما نكون اليوم لتحطيم اليأس، وطرد آثار الحرب النفسية التي يشنها أعداؤنا؛ ليحطموا الخير في نفوس أمتنا، وليبثوا العجز والكسل والفتور؛ لينخر في قلوب رجالنا ونسائنا، لكن هيهات هيهات، فالإسلام دين سماوي عظيم، لو تأملنا في أركانه الخمسة - فقط - لوجدنا أنها تبعث في النفوس الأمل، وتملؤها بالعزة والفخر والعمل، بدءاً بكلمة التوحيد وإفراد الخالق بالعبودية دون المخلوقين، والصلوات المفروضة التي تغسل أدران العبد كل يوم خمس مرات، ودفع الزكاة لتطهير النفس من الجشع والبخل وحب الذات، والحج مؤتمر المسلمين العالمي المليء بالدروس والأسرار، وجمع الكلمة ووحدة الصف، وشهر رمضان الذي يقلب الكيان، ويهز النفس والوجدان.

فأني لأعداء الإسلام أن يُحطموا نفساً قامت على هذه الأركان، ورضيت بالإسلام؟! ولذا فلا نعجب يوم تتحول المعركة بكل وسائلها من حرب على المسلمين أنفسهم إلى حرب على دينهم وثوابتهم. فقد تبين لهم أن المسلم نفسه قد يخطئ ويعصي وينغمس في الكبائر، ولكن إذا هبت رياح الإيمان، وأمطرت سحاب الأركان على مدار العام، تنبه الوسنان، وأفاق السكران، وإذا الصلاة نور، والصدقة

روحانية صائغ

برهان، والحج والصيام والقرآن مكفرات للآثام، فهنيئاً لبني الإسلام، وموتوا
بغيتكم يا أعداء الملة والإيمان، الذين لم يجدوا بدءاً من الحرب على الإسلام
ومبادئه وأصوله؛ لإثارة الشبهات والشكوك والأقاويل، وصدق المصطفى ﷺ القائل:
(**لِيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدْرٍ وَلَا وَبَرَ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا
الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ، أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يَعْزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يَذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ**))^(١).

إذا فأبشروا، وتفاءلوا، وأملوا، واملؤوا قلوبكم بحب الدين، ونفوسكم بالثقة
واليقين، فهيا نتقدم للأمام، ونسعى للأفضل، ولا نرضى بالدون ولا الهوان،
ولنستعد بالله من العجز والكسل على الدوام، ((**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ
إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ**))^(٢).

شهر رمضان فرصة عظيمة، ومناسبة جميلة للتغيير للأفضل (**تعالوا نستمع الى
مخاضة رمضان والتغيير**) ، فنحن في زمن متغيرات، وعلى كافة المستويات، والجميع

(١) رواه أحمد. وصححه الألباني في الصحيحة (ح٣).

(٢) رواه البخاري في الإيمان، باب الدين يسر (ح٣٩). معنى الحديث: لا يتعمق أحد في الأعمال الدنيوية ويتترك الرفق إلا عجز وانقطع
فيغلب. (فسدوا) أي: إرثوا السداد وهو الصواب من غير إفراط ولا تفريط. (وقاربوا) أي: إن لم تستطعوا الأخذ بالأكمل فاعملوا بما
يقرب منه. (وأبشروا) أي: بالثواب على العمل الدائم وإن قل. (واستعينوا بالغدوة) أي: استعينوا على مداومة العبادة بإيقاعها في
الأوقات المنشطة. والغدوة بالفتح سير أول النهار، وقال الجوهري: ما بين صلاة العداة وطلوع الشمس. والروحة بالفتح السير بعد
الزوال. (والدلجة) آخر الليل، وقيل: سير الليل كله، ولهذا عبر فيه بالتبويض؛ ولأن عمل الليل أشق = من عمل النهار. وهذه
الأوقات أطيب أوقات المسافر، وكأنه ﷺ خاطب مسافراً إلى مقصد فنبهه على أوقات نشاطه؛ لأن المسافر إذا سافر الليل والنهار جميعاً
عجز وانقطع، وإذا تحرى السير في هذه الأوقات المنشطة أمكنته المداومة من غير مشقة. وحسن هذه الاستعارة أن الدنيا في الحقيقة دار
نقلة إلى الآخرة، وأن هذه الأوقات بخصوصها أروح ما يكون فيها البدن للعبادة... (فتح الباري بتصرف ١/٩٤) .

متفق على أن التغيير للأحسن أمر محمود، بل ومطلوب ما دام منضبطاً بالمبادئ والثوابت، فلا يصح أن يتقدم العالم كله من حولنا، ونحن جامدون لا نتحرك، بل ربما البعض يتراجع ويتأخر! والتغيير للأحسن مطلب شرعي، كما في قول الحق عز وجل - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرَ مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾^(١)، وقوله : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا لِمَعْمَدِهِمْ أَنْزَلَهَا عَلَيْهِمْ قَوْمًا يَتَّبِعُونَ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَآتَى اللَّهُ سَبِيحًا عَلَيْهِمْ ﴾^(٢).

إن التردّي والانحطاط والتخلف الذي تعيشه الأمة اليوم - في كافة الجوانب- ليس اعتبارياً، بل هو نتيجة إغفال وإهمال طويل، وبعد عن أسباب العزة، وعدم الأخذ بأسباب القوة التي أمرنا بها ربنا في قوله: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾^(٣). ولا مخرج مما نحن فيه من الواقع البئيس والذل والهوان إلا إذا غيرنا ما بأنفسنا، ورجعنا إلى منبع عزتنا، ومصدر كرامتنا؛ ديننا الذي أنقذنا من الضلالة، وأخرجنا من الظلمت إلى النور؛ وعلينا أن نغير الكسل بالجد، والخمود والتبعية بالتحرك والأخذ بزمام المبادرة، وصياغة المناهج ودور التعليم على ضوء تعاليم الإسلام، ومن ثم صياغة الفرد المسلم، والمجتمعات الإسلامية، في التفكير والتصورات والقيم والموازين على منهج القرآن .

(١) سورة الرعد [١١] .

(٢) سورة الأنفال [٥٣] .

(٣) سورة الأنفال [٦٠] .

وخصائص ومميزات رمضان فرصة لا تعوز للجادين الراغبين حقاً في التغيير... ومن أهم هذه الخصائص:

أولاً: أن رمضان ثلاثون يوماً، أو تسعة وعشرون يوماً، وأنت كل يوم تمسك من الصباح إلى المغرب؛ فلا تشرب، ولا تأكل، ولا تباشراًهلك، ولا تسب، ولا تفسق، وهذا تدريب مستمر، له أثر كبير على برمجة النفس وعلاج قصورها ومشاكلها .

وعلماء النفس يرون أن التغيير الحقيقي يجب أن يكرر على التوالي من ست إلى واحد وعشرين مرة ليحدث تغييراً ناجحاً في حياتك، وهكذا في كل مشكلة اعتدت عليها كالتدخين، أو الغيبة، أو الغضب، أو النظرة المحرمة مثلاً . فأول خطوة هي: برمجة العقل الباطن بأن تتخيل في نفسك ترك تلك العادة، وكرر هذه التخيلات مرات، إلى أن يصبح النجاح في الخيال أمراً عادياً؛ فالتغيير يبدأ من الداخل، وعندها يمكن البدء بخطوات عملية صغيرة، ثم يكرر نجاحه هذا في محاولات أكبر إلى أن يتغلب على المشكلة بإذن الله .

ثانياً: من خصائص هذا الشهر وكونه فرصة للتغيير وجوب تبين نية الصيام من الليل في رمضان، دون تردد، أو ضعف رأي، بل بقرار واضح بُيت بليل كما يُقال، والتردد أو الضعف في اتخاذ القرار مشكلة من أكبر المشاكل التي تواجه الكثير من المسلمين على جميع المستويات، وبالأخص مع النفس، والمسلم

روحانية صائمه

قوي، صاحب قرار؛ فأمره كله خير متى فعل الأسباب، واتخذ التدابير، أما التردد فلا يربي نفوساً ضعيفة فحسب بل يأتي بأمراض نفسية وجسمانية، وقلق وحيرة وهكذا فإن رمضان يربي المسلم داخلياً بمجرد تبييت النية على الصيام، ثم إمساك، ثم إفطار بدقة متناهية، وهكذا يتخذ المسلم قرارات متتالية كل يوم خلال شهر كامل، لكن متى يتنبه المسلم لهذه التربية الإيمانية العجيبة .

إذا كنتَ ذا رأيٍ فكنْ ذا عزيمةٍ فإن فسادَ الرأي أن تترددا

ثالثاً: من خصائص هذا الشهر وكونه فرصةً للتغيير خروجُ الإنسان عن المألوف المعتاد، سواء في مواعيد طعامه، أو في صلاته، أو وظيفته، أو نومه، أو غير ذلك، وما أحوجنا اليوم إلى الإبداع والتجديد، بل إن التغيير والخروج عن العادة من أهم أسباب التغلب على القلق وضغوط الحياة، وتأملوا تنوع مواسم الطاعات والحوافز فيها، فما أن ينتهي رمضان حتى يأتي العيد، ثم الحج بأشهره الحرم، وبعده العيد، ثم عاشوراء، وهكذا كل عام؛ فلا تمل النفوس، وإن فترت عادت وانطلقت من جديد للتجديد .

رابعاً: تنظيم الوقت ، فساعة محددة للإمساك، وساعة محددة للإفطار، وثالثة لصلاة التراويح، وهكذا دقة والتزام وتنظيم، ولهذا أثر كبير على النفس، أما من لا يعطي أهمية للوقت وتنظيمه فلن تكون أهمية لحياته؛ لأن الوقت هو الحياة . (ورمضان هو شهر دقة المواعيد استمع هذه أكلقت بعنوان رمضان ودقة المواعيد من برنامج ٣٠ *٣٠ لتعلم المزيد عن ذلك)

روحانية صائمه

خامساً: من خصائص هذا الشهر وكونه فرصةً للتغيير أن البيئة من حولك إيجابية مشجعة؛ فجميع المسلمين من حولك صائمون، وكلهم على الخير مقبلون، يتصدقون، ويصلون، ويتنافسون، الجوائز والحوافز كثيرة؛ مضاعفة الحسنات، وتكفير السيئات، وفتح أبواب الجنان، وإغلاق أبواب النيران، والشياطين مصفدة، إذا فلم يبق إلا نفسك التي بين جنبيك؛ فجاهدها، وحاسبها، وطورها؛ فالظروف مواتية، والأسباب مهيئة، فاستعن بالله، ولا تعجز: ((كَلُّ النَّاسِ يَغْدُو؛ فَابِيعْ نَفْسَهُ فَمَعْتَقَهَا أَوْ مَوْبِقَهَا))^(١). فلا تهلكها بالتسويق والمماطلة وخداع النفس، فالأيام تمضي، والعمر يجري، وأنت لا تدري، والموت أمامك، والقبر منامك، وبين يدي العليم البصير سؤالك، ((وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَازُنٌ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ))^(٢)، فليس لك عذر ولا حجة .

اللهم أبدلنا بضعفنا قوةً، وبدلنا عزةً وكرامةً. وبفراقنا وحدةً وألفةً ووثاماً، يا قويُّ يا عزيزُ، يا رحمنُ يا رحيمُ .

(١) جزء من حديث رواه مسلم في الطهارة، باب فضل الوضوء (ح٢٢٣). معنى الحديث: "كُلُّ إِنْسَانٍ يَسْعَى بِنَفْسِهِ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَبِيعُهَا لِلَّهِ

تَعَالَى بِطَاعَتِهِ فَيُعْتِقَهَا مِنَ الْعَذَابِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبِيعُهَا لِلشَّيْطَانِ وَالْهَوَى بِاتِّبَاعِهِمَا فَيُوبِقُهَا أَيْ يُهْلِكُهَا" (شرح النووي ١٠٤/٢).

(٢) جزء من حديث رواه الترمذي في الدعوات، باب قول النبي ﷺ: رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ. وصححه الألباني .

سؤال الحلقة

التغيير الحقيقي يجب أن يكرر على التوالي من ٦ إلى مرة ليحدث
تغييراً ناجحاً في حياتك.

١ ١١ مرة

٢ ٢١ مرة

٣ ٣١ مرة

روحانية صائغ

(١٢)

خطوات عملية للتغيير

شاهد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.
أما بعد: أخي الصائم! فقد تخرج من رمضان بصيام وقيام، وقراءة للقرآن، وخيرات حسان، وأرجو أن تفوز بالأجر من الكريم المنان، لكنك لم تخرج بالتغيير المنشود، لم تخرج بجديد تضيفه إلى شخصيتك وخصالك، لم تستمتع برمضان حقيقة الاستمتاع، ولم تستفد من المتغيرات الرمضانية من حولك، فإن عزمت على التغيير للأفضل، وأردت أن يكون رمضان نقطة البداية، فتوكل على الله، وهناك خطوات عملية للتغيير، علّها أن تكون عوناً لك:

أولاً: وضوح الهدف، ودقة تحديده، مع إمكانية الوصول إليه، كرجل طموح يريد أن يحفظ القرآن، أو آخر يريد أن يقلع عن عادة سيئة خلال هذا الشهر.
ثانياً: حدّد الوسائل العملية المعينة للوصول إلى الهدف، كطبيب، أو صديق، أو قراءة، أو تدريب، واحذر الطموحات البراقة، والأمانى العذاب... ولكن على قدر إمكاناتك، وتنبه فقد تكون قدراتك أكبر مما تقوم به الآن، فلا ترضّ بالدون، ولكن ضع نفسك في مكانها الحقيقي دون تكبر أو احتقار.
ثالثاً: ضع برنامجاً عملياً مكتوباً محدد الأوقات لتحقيق تلك الوسائل، كأن تحاول أن تتخلص كل أسبوع من عادة سيئة واحدة، وتذكر القاعدة التي

روحانية صائمه

تقول: إذا فشلت في التخطيط فقد خطت للفشل، وكرر النظر والقراءة لخطة العمل، وتذكر دائماً أن شهر رمضان شهر عمل، لا شهر كسل .

رابعاً: ابدأ بالتنفيذ، وتذكر أن الفشل طريقك إلى النجاح، فإذا فشلت مرة فتأكد أنك على الطريق الصحيح، واعلم أن الذي لا يخطئ هو الذي لا يعمل، وتعلم من أخطائك، واجعلها وقودك إلى النجاح .

خامساً: اكسر حاجز الخوف، ولا تتخوف من التغيير كما يفعل الكثير، وتذكر أن مبادرة واحدة أفضل من مئة كلمة، وأن الأفعال هي الطريق إلى النجاح، وأن إشعال شمعة واحدة خير من أن تتذمر من الظلام ألف مرة .

وَمَنْ يَنْهَيْبْ صَعُودَ الْجِبَالِ يَعْشُرْ أَبَدَ الدَّهْرِ بَيْنَ الْحَفْرِ

سادساً: استشر الآخرين حول خطواتك القادمة، وخاصة الناجحين، ومن يحبون الخير لك، ومن تثق بأرائهم، ولا تستشر ضعاف الهمم، أو الحساد، أو المجاملين لك .

سابعاً: افرح بنجاحك، وكافئ نفسك على تحقيق النجاح مهما كان النجاح جزئياً، ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾^(١).
ففرحك بالتغيير للأفضل ولو كان يسيراً سيقفز بك إلى الأمام.

وأخيراً: احرص على التقييم والمراجعة والمصارحة، واحذر من الاستسلام للفشل، أو للعجز أو التسوية .

ثم اعلم أن للتغيير الناجح شروطاً لا بد من توافرها :

(١) سورة يونس [٥٧] .



فتعالوا - إخوة الإيمان- لنستمتع برمضان، ولنحذر من العادة؛ فإنها تحول الأشياء التي نستمتع بها إلى ضرورات يومية تبعث على الكآبة والاعتیاد الممل.. والدليل على ذلك رمضان فرغم أن له طعمًا خاصًا، وله تميزه، فخصائصه كثيرة كما تقدم، ورغم عظم الأجر فيه، ورغم التغير فيه، والخروج عن المألوف في حياة الإنسان.. إلا أن العادة جعلته عند الكثير من الناس مجرد شهر يمسك فيه عن الطعام والشراب، بل هو شهر ثقيل على البعض، فجعلوا الليل للهو واللعب، والنهار للنوم والكسل، فالهمُّ عندهم متى ينتهي رمضان!؟

فهيأ - معاشرَ المؤمنین- نستشعر ما في رمضان من جمال وتغيير، وخصائص وفضائل... بل لنحاول أن نستثمر هذا الشهر المبارك (ومنها هذه الملاحظة الجملية ٢٠ عطلوه عملية لإستثمار رمضان) ؛ لنخرج بأكبر قدر ممكن من الفوائد والحسنات، ((أَتَاكُمْ شَهْرُ رَمَازَانَ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ))^(١).

نعوذ بالله من الشقاء والحرمان، فرمضان مدرسة لتجديد الإيمان، وتهذيب الخلق، وتقوية الروح، واستئناف حياة أفضل وأكمل ، رمضان هو الفترة الروحية التي تجد فيها الجماهير والأفراد فرصةً لإصلاح تاريخها، ومراجعة حساباتها.

(١) حديث صحيح تقدم تخريجه في الحلقة الأولى .

رمضان محطة لتعبئة القوة النفسية والروحية والخلقية التي تحتاج إليها كل أمة في الحياة، ويحتاج إليها كل فرد في المجتمع.
مدرسة الصوم تخرِّج رجالاً أقوياء في الروح والجسد، فرمضان - إذًا - فرصة لا تعوّضُ للتغيير والتعليم، والتخلق بكل أخلاق كريمة، والتخلي عن كل فعال قبيحة.

ولن ينجح في الحياة ولن يثمر، ولن يحقق أهدافه إلا الرجل الجاد فيها؛
فهل سيكون في رمضان هذا العام طعم آخر في حياتنا؟! 🐦 نتمنى ذلك، نسأل الله أن يبارك لنا ولكم في رمضان، وأن يعيننا فيه على الصيام والقيام، وأن يجعله رحمة علينا وعلى أمة الإسلام في كل مكان. وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين .

سؤال الحلقة

أول وأهم خطوات عملية التغيير:

١ وضع برنامج عملي مكتوب

٢ وضوح الهدف، ودقة تحديده.

٣ تحديد الوسائل العملية المعينة للوصول إلى الهدف

روحانية صائمه

روحانية صائغ

[١٣]

حال السلف الصالح في رمضان

شاهد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن والاه .

أما بعد: فلعلك أخي تسأل كيف كان منهج السلف الصالح في التغيير؟
قبل أن أبين لك منهج السلف في التغيير، أنبهك إلى أن فذَلِكَ هذا الأمر هي
تصفية القلب مما يشيبه من المضعفات والأدران، وأن القلب أمير البدن، بصلاح
الأمير تصلح الرعية، وبفساده تفسد ، قال ﷺ: ((أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا
طَلَحَتْ طَلَمَ الْجَسَدُ كُلَّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ))^(١).

يقول ابن القيم: " القلب يمرض كما يمرض البدن، وشفأؤه في التوبة والحمية، ويصداً كما تصدأ
المرآة، وجلاؤه بالذكر، ويعرى كما يعرى الجسم، وزينته التقوى، ويجوع ويظمأ كما يجوع البدن، وطعائمه
وشرابه المعرفة والمحبة والتوكل والإنابة والخدمة"^(٢).

(١) جزء من حديث رواه البخاري في الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه. ومسلم في المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات.

(٢) الفوائد لابن القيم (ص ١٢٩) .

روحانية صائغ

احذر - أخي - ظلم النفس؛ فالله - تعالى - يقول: ﴿هُتَفَدُ قَابَهُ مَنْ
دَسَاهَا﴾^(١)، والخيبة هي الخسارة في الدنيا والآخرة، ومن مظاهر هذه الخيبة في
الدنيا: الضعف، والتردد، والذل، والجبن، وانعدام الحياء، والمجادلة بغير علم،
ونسيان سوء الخاتمة.

وأول الأسس الرئيسية التي كان يعتمد عليها السلف في تربية النفس هو: العلم بأن الله
غني عن عباده.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْغَنِيُّ﴾^(٢).

فيا أخي! إن الله غني عنك، وعن صلاحك وعبادتك، فأنت الفقير إليه،
والمحتاج إليه كل طرفة عين، وزفرة نفس، وكل لحظة وهمسة ، لا غنى
لك عنه بحال .

(١) سورة الشمس [١٠].

(٢) سورة فاطر [١٥].

ثانياً: خوف الله؛ فهو الذي دفعهم لنهي النفس عن الهوى، والخوض في معارك مستمرة معها لتذليلها، وتحويلها من نفس أمارة بالسوء إلى نفس مطمئنة ولوامة. الخوف من اطلاع الحق الدائم عليهم بكل لفضة ولحظة وخطوة وخاطر . هل تعلم أخي ما معنى الخوف؟ الخوف الإيجابي الدافع للعمل، وليس الخوف السلبي المحزن المثبط المقلق فقط .

ثالثاً: تصبير النفس؛ يقول تعالى: ﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ** ﴾^(١) . فالنفس أمارة بالسوء، ومن طبعها التفلتُ وعدم الالتزام، فاحتاجت إلى التربية، وحبسها عما ترغب من الهوى، ومما يحكى عن بشر الحافي المحدث الزاهد أنه "سار ومعه رجل في طريق، فعطش صاحبه، فقال له: نشرب من هذه البئر؟ فقال بشر: اصبر إلى البئر الأخرى، فلما وصلا إليها قال له: البئر الأخرى فما زال يعلله... ثم التفت إليه فقال له: هكذا تنقطع الدنيا"^(٢) .

رابعاً: مجاهدة النفس ومكاببتها؛ حيث ((**حُقَّتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُقَّتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ**))^(٣) .

(١) سورة الكهف [٢٨] .

(٢) صيد الخاطر لابن الجوزي (ص٩٨) .

(٣) رواه البخاري في الرقاق، باب حجت النار بالشهوات. ومسلم -واللفظ له- في الجنة وصفة نعيمها .

قال التابعي الجليل عبد الله بن أبي زكريا قوله: "عاجت لساني عشره سنة قبل أن يستقيم لي"^(١).

والتابعي الجليل مورك العجلي يقول: "أتم أنا في طلبه منذ عشره سنة لم أقدر عليه، ولست ببارك طلبه أبداً، قالوا: وما هو يا أبا المعتمر؟ قال: الصمت عما لا يعنيني"^(٢).
ومحمد بن المنكدر يقول: "كابدت نفسي أربعه سنة حتى استقامت"^(٣).

خامساً: الوقاية من الشح؛ يقول الله - تعالى - ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٤).

قال أبو الهياج الأسدي: "رأيت رجلاً في الطواف يدعو: اللهم قني شح نفسي، لا يريد على ذلك شيئاً، فقلت له؟ فقال: إذا وقيت شح نفسي لم أسرق، ولم أزن، ولم أفعل، فإذا الرجل عبد الرحمة به عوف"^(٥).

(١) الحلية لأبي نعيم (١٤٩/٥).

(٢) الزهد للإمام أحمد، (٤٢٨). وصفة الصفوة لابن الجوزي (٢٥٠/٣).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣٥٥/٥).

(٤) سورة الحشر [٩].

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٨/٢٩-٣٠).

سادساً: التوكل على الله بصدق، فكن كحاتم الأصبم في التوكل على الله،
حيث سُئِلَ - رحمه الله - : **عَلَامَ بَنِيَتَ أَمْرِكَ هَذَا فِي التَّوَكُّلِ؟** قال على خصال
أربع:

علمت أن رزقي لا يأكله غيري ، فاطمأنت به نفسي .

وعلمت أن عملي لا يعمل به غيري ، فأنا مشغول به .

وعلمت أن الموت يأتيني بغتة ، فأنا أبادره .

وعلمت أنني لا أخلو من عين الله حيث كنت ، فأنا مستحي منه"^(١) .

ومن حقق هذه الأربع توكل على الله حق توكله .

سابعاً: محاسبة النفس واتهامها، لا لومها وتعنيفها، بل لزيادة العمل
وتنشيطها. يقول بكر بن عبد الله المزني: " **إِنْ عَرَضَ لَكَ إِبْلِيسُ بِأَنَّ لَكَ فَضْلاً عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ
الْإِسْلَامِ فَانظُرْ فَإِنَّ كَانَ أَكْبَرَ مِنْكَ فَقُلْ: قَدْ سَبَقَنِي هَذَا بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ؛ فَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، وَإِنْ كَانَ أَصْغَرَ
مِنْكَ فَقُلْ: قَدْ سَبَقَتْ هَذَا بِالْعَاصِيَةِ وَالزُّنُوبِ، وَاسْتَوْجِبْتَ الْعُقُوبَةَ؛ فَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي؛ فَإِنَّكَ لَا تَرَى أَحَدًا مِنْ أَهْلِ**

(١) صفة الصفوة (٤/١٦١) .

الإسلام إلا أكبر منك أو أصغر منك، وإن رأيت إخوانك المسلمين يكرمونك ويعظمونك فقد أنت: هذا فضل أخذوا به، وإن رأيت منهم جفاءً وانقباضاً فقد: هذا بذنب أحدثه" (١).

سبحان الله! محاصرة للنفس عجيبة، لا يترك لها متنفساً للسوء، ولا فرصة تصطاده فيها، أو يصطاد فيها شياطين الإنس، بل يقظة لمداخل النفس وخبثها. ووقفة لآتهام النفس ومحاسبتها، ومع ذلك كانوا يحرصون على مداراة النفس والرفق بها، فيرخون لجامها مادامت على الجادة، فإذا مالت فترد بلطف، فإن أبت وتمنعت فهنا يشتد عليها ويعنفها؟ وهذه المداراة فن لا يوفق إليه إلا القليل .

ثامناً: الإكثار من النوافل والطاعات، ويكفي شهادة الحق لهم: ﴿كَأَنَّهُمْ قَلِيلًا مِّنَ الَّذِينَ مَا يَهْتَفُونَ﴾ (٢).

تاسعاً: حفظ الجوارح، وكان أحمد بن عاصم الأنطاكي يقول: "إذا أردت صلاح قلبك ، فاستع به عليه بحفظ جوارحك" (٣). وكان الأحنف بن قيس يقول: "جنبوا مجالسنا ذكر النساء والطعام؛ إنني أبغض الرجل يكون وصافاً لفرجه وبطنه" (٤).

(١) الحلية لأبي نعيم (٢/٢٢٦).

(٢) سورة الذاريات [١٧] .

(٣) البداية والنهاية (١٠ / ٣١٨).

(٤) سير أعلام النبلاء (٤/٩٤).

عاشراً: ربط ما في الدنيا بالآخرة، إذا رأيت ظلمة تذكر ظلمة القبر، وإذا رأيت خضرة وماءً ومناظر خلافة تذكر جمال الجنة، وهكذا في كل ماتراه في الدنيا اقرنه بمثيل له في الآخرة.

يقول أبو حاتم الأصم: "اصرف أربعة أشياء إلى أربعة مواضع وجد الجنة: النوم إلى القبر، والراحة إلى الصلاه، والفقر إلى الميراث، والشهوة إلى الجنة"^(١).

الحادي عشر: تحقيق معنى الأخوة في الله، فقد كان ابن مسعود رضي الله عنه إذا خرج لأصحابه قال: "أنتم جلاء حزني"^(٢).

وإذا التقى طلحة بن مصرف بمالك بن مغول يقول: "للقباك أحب إلي من العسل"^(٣). وكانت أخوتهم تناصح وتعاون وتواصي بالحق والصبر .

الثاني عشر وأخيراً من منهجهم في تربية أنفسهم: الخوف الدائم من سوء الخاتمة: فلحظات الخاتمة هي التي أقضت مضاجع القوم، فحرمتهم النوم الهانئ، والعيش الهادي، ولم يغتروا بعبادتهم مع كثرتها، ولا بصلواتهم مع خشوعها، ولا بكثرة ما أهلكوا من أموالهم في سبيل الله، ولا بكثرة صيامهم في الهواجر، وقيامهم

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٠ / ٥٠).

(٢) روضة العقلاء (ص ٩٢) .

(٣) الإخوان لابن أبي الدنيا (ص ١٣٨).

بالثالث الأخير من الليل وهم يسمعون قول نبيهم ﷺ: ((إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِمِهَا))^(١)؛
فيزيدهم ذلك خوفاً من الله، وإقبالاً عجيباً على العمل الصالح .

سؤال الحلقة

قال ﷺ: ((أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا
فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ ...))

١ الجوارح

٢ العينين

٣ القلب

(١) جزء من حديث رواه البخاري في الرقاق، باب الأعمال بالخواتيم. وأحمد في المسند.

[١٤]

نُوبَةُ صَائِمٍ

شَاهِد

الحمد لله غَافِرِ الذَّنْبِ، وَقَابِلِ التَّوْبِ، شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ، والصلاة والسلام على البشير النذير، والسراج المنير، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد: حقاً إن رمضانَ شهرَ مبارك، تكثُر فيه المسابقات والمنافسات، لكن الكثير يغفلون عن المسابقة الكبرى، جوائزها لا تقدر بثمن، إنها المسابقة الربانية، فتعال أخي عددٌ معي، كمّ كبير هي الحوافز السماوية، والجوائز الربانية خلال هذا الشهر: تضاعف فيه الحسنات، تكفر فيه السيئات، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَعَلِقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُنُقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ))^(١).

وقال ﷺ: ((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))^(٢).

(١) رواه الترمذي وابن ماجه كلاهما في الصوم، باب فضل شهر رمضان. وصححه الألباني في صحيح الترمذي (ح ٥٤٩).

(٢) متفق عليه، تقدم تخريجه في المجلس الثاني.

روحانية صائم

وقال ﷺ: ((مَنْ قَامَ رَمَضانَ إِيمانًا وَاحْتِسابًا غُفِرَ لَهُ ما نَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))^(١).

وقال ﷺ: ((وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَها فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَا يُحْرَمُ خَيْرَها إِلَّا مَحْرُومٌ))^(٢).

وقال ﷺ: ((الطَّوَاتُ الْخُمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضانُ إِلى رَمَضانَ، مُكْفَرَاتُ ما بَيْنَهُنَّ، إِذا اجْتَنَبَ الْكَبائِرَ))^(٣).

أليست هذه جوائز ثمينة، مشجعة ومرغبة، بل حتى أجواء المسابقة مهيئة للتنافس، خروج عن المألوف المعتاد؛ سواء في مواعيد الطعام والشراب، ومواعيد العمل والوظيفة، ومواعيد النوم واليقظة، نقرأ القرآن ساعات، ونصلي الليل عشرات الركعات، ونبذل من الأموال آلاف الريالات، ويجتمع شمل الأسرة في اليوم مرات، وأصبحنا نحمل هم المسكين، وندعو كثيراً للمسلمين، بل نمسك ونفطر بموعد منضبط دقيق!!؟
إذاً فرمضان تنقلب فيه الكثير من العادات، وتتغير الكثير من المفاهيم والتصورات، والبيئة من حولك إيجابية مشجعة، فجميع المسلمين من حولك صائمون، وكلهم على الخير مقبلون، يتصدقون، ويتنافسون .

(١) متفق عليه تقدم تخريجه في الحلقة الثانية .

(٢) رواه ابن ماجه وصححه الألباني، تقدم تخريجه في المجلس الأول .

(٣) رواه مسلم، تقدم تخريجه في الحلقة الأولى .

والسؤال هنا: هل ستستثمر كل هذه الفرص؟ إنه رمضان شهر التغيير والمراجعة والمحاسبة، فهل وقفت مع نفسك؟ هل تأملت حالك؟ هل أنت راض عن وضعك؟ ألا يمكن أن تتقدم؟ ألا يمكن أن تخطو للأفضل؟

رمضان شهر التوبة، وشهر المغفرة، وشهر الإنابة والرجوع إلى الله، شهر الصبر وتربية النفس، فإن لم تكن الانطلاقة من رمضان فمتى؟ نعم - أيها الكهل - متى؟ بل أنت - يا فتى - قل لي متى؟ فمن أدرك رمضان فمات ولم يغفر له فأدخل النار فأبعده الله؟.

أيها الحبيب! إن نفساً تُعرض عليها التقوى كزاد ثلاثين يوماً، ثم لا تتزود من التقوى ولو بالقليل فهي نفس مهينة، ضعيفة مظلمة؛ ﴿وَمَنْ لَمْ يَبْغِ اللَّهَ لَهُ نُورًا فَهَذَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾^(١)، ظلمات بعضها فوق بعض، عجباً لمن لم يُعتق نفسه من النار! ((وَاللَّهُ عَتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ))^(٢).

رغم كل تلك الخصائص، ورغم كل تلك الحوافز، ورغم أن كل شيء من حوله مشجع، فلم يفز برمضان، ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفُتْرَانُ الْفُتِينُ﴾^(٣).

(١) سورة النور: [٤٠].

(٢) جزء من حديث تقدم تخريجه في أول هذا المجلس.

(٣) سورة الحج [١١].

أعرفت الآن - أيها المسكين - معنى قول المصطفى - عليه أفضل الصلاة
وأزكى التسليم- : ((وَرَغِمَ أَنْفٌ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ
))^(١).

إنه أنف مهان، أرغم في التراب تحقيراً له، يوم أضع شهراً فيه كل أسباب
الغفران، فلم يُغفر له، فليس له عذر ولا حجة. فماذا سيقول لربه؟ إن أناساً دخل
رمضان وأوشك على الخروج لم يتغيروا، بل لم يتحركوا، بل ما زادهم رمضان إلا سهرًا
وغفلةً وإغراقاً في الشهوات والمعاكسات والفضائيات، حتى ليصدق فيهم قول القائل:

وكنتُ امرأً من جنرِ إبليسَ فارتقى بيَ الدهرُ حتى طارَ إبليسُ من جندي
فلو ماتَ قبلي كنتُ أحسنُ بعدهُ طرائقُ فسقٍ ليسَ يحسنُها بعدي

من لا يغفر له في رمضان فمتى؟ متى يصلح من لا يصلح في رمضان؟ نعم
أخي قل لي متى؟ أيها المسكين متى؟ فلم يبق إلا نفسك التي بين جنبيك؟
اصدق معها وحاسبها؟ وأدبها وعاتبها، فنفس تُفوت كل هذه الفرص كبر عليها
أربعاً وصل صلاة الجنازة؟ فذهابها - والله- خير من بقائها؟ فكل ما لا يثمر
من الأشجار في أوان الثمار، فإنه يُقطع ثم يوقد في النار، النار التي تُذيب كل
قاس؟ لكن هؤلاء تُذكر الجنة والنار فلا يتأثرون؟ حتى المصائب والأمراض منها
لا يخافون، يوعظون فيعرضون، قلوبهم كالحجارة، بل إن من الحجارة ما يتفجر

(١) رواه الترمذي في الدعوات، باب رغم أنف من ذكرت عنده. وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

منه الأنهار، ومنها ما يهبط من خشية الله، وقلوب هؤلاء أقسى من الحجر؟ اللهم
أجر القلوب من جور النفوس، نعوذ بالله من الغفلة والقسوة والإعراض؛ ﴿وَإِنْ نَأْهُوهُ
أَوْ نَفِرْضُهَا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا نَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(١)، فهو العليم بك، الخبير بحيلك، فلا
تُعجبك نفسك سبحان الله! معجب بشبابك؟ معجب بجمالك؟ معجب
بمالك؟

أخي! لا تَتَفَلَّتْ أو تَتَلَفَّتْ فأنا أعنيك أنت، نعم أنت! عجباً لك أخي! حتى في
رمضان أنت في غفلة وهوان؟ وإعراض وخسران، فهل سألت نفسك لماذا كل هذا
الإعراض؟ أجب وتعال لآخذ بيدك؛ فإني أحبك وأحب الخير لك؟ أكل هذا
العناد من أجل الشهوات، إنما هي لذات للحظات، ثم تعقبها حسرات، أم هو من
أجل الجلساء والأصحاب، فستعلم حقيقتهم يوم تعضُّ على يديك تقول: (يَا وَيْلَهُ
لَيْتَنِي لَمْ أَنْفُذْ فَلَانًا خَلِيلًا) (لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا
(٢)). أم هو الشيطان، فعشرات الآيات في القرآن، تُحذرك منه وأنه العدو الأول
للإنسان، وقد صُفِّدَ في رمضان؟

إذا كن صادقاً، وواجه نفسك، فقل لها: لقد ضللت طريق الهدى، فقضي
واسألني، تدبري أمرك، وتأملني قبل أن لا تمهلي. يا عجباً أريد حياة نفسي، ونفسي
تريد مقتلي!!

(١) سورة النساء [١٣٥].

(٢) سورة الفرقان [٢٨.٢٩].

فيا من في الصباح نوم وغفلات، وفي الليل تتبع للشهوات، أين أنت من أقوام يتسابقون هذه الأيام على الخيرات ؟ **بماذا تُجيبك نفسك الأمانة وأنت تقول لها: أما ترين المئات، وقد ملؤوا الحرم والساحات، وهم في دعوات ودمعات، وأنت تلاحقين الشهوات.**

يا ثقيلة النوم أما يُنبهك القرآن؟ أما توقظك لذعة الجوع والحرمان؟ ألا تخافين؟ ألا تنزجرين؟ يا نفس رفقا بي، فقد استحييت من كثرة العاتبين؟.

أخي! لعلها تقول لك: ما زلت في زمن الشباب، وأمامك رمضان! فلو أنك قلت لها: هيهات هيهات، فمن يُمسك هاذم اللذات، ويوقف مفرق الأصحاب والجماعات؟ اليوم صاحبي فلان، وغداً يقال عني: مات، يا نفس لقد فصلتُ ثوب العيد فهل سألبسه أم الكفن الذي منه أحميد؟.

لكني أراك - أخي - بدل أن تقول لها هذا، استسلمت لها، وأصبحت أسيرها، وذليلاً لها، حتى في مواسم الخيرات .

وارحم أيأ ربُّ ذنباً جنيناهُ
فإن تولتْ بلايانا نسيناهُ
فإن رجعنا إلى الشاطئِ عصيناهُ
فما سقطنا لأن الحافِظَ الله

يا رب عفوك لا تأخذ بزلتنا
كم نطلبُ الله في ضرٍّ يحلُّ بنا
ندعوه في البحرِ أن يُنجي سفينتنا
ونركبُ الجوّ في أمنٍ وفي دعةٍ

روحانية صائغ

فيا أمة الله! يا عبد الله! لا تهلك نفسك بالتسوية، والمماثلة، وخداع النفس،
فالأيام تمضي، والعمر يجري، وأنت لا تدري، والموت أمامك، والقبر منامك، وبين يدي
العليم البصير سؤالك، ورغم أنف من أدرك رمضان فلم يُغفر له، فليس لك عذر ولا
حجة .

يا كل غافل! وكلنا غافلون، ويا كل مسوِّف! وكلنا مسوِّفون، ويا كل
غريق! وكلنا غارقون!! استعد بالله من شر نفسك؛ تلك التي لم تنتصر، ولم
تفلح هذا الشهر، رغم كل الفرص، واستعن بالله عليها؛ فلا معين لك إلا الله،
الجا إليه، وانطرح بين يديه، وقل: أشكو إليك نفسي التي يقول عنها يحيى بن
معاذ: "مه سعادة المرء أن يكون خصمه فهِمًا، وخصمي لا فهم له. قيل له: ومه خصمك؟ قال: خصمي
نفسى لا فهم لها؛ تبيخ الجنة بما فيها مه النعيم المقيم، والخلود فيها، بشهوة ساعة في دار الدنيا"^(١).

أليست نفسا مهينةً تلك التي تعرض عليها التوبة شهرا كاملاً ثم لا

تتوب؟ 

وقد تماديتُ في ذنبي ويسترنِي
ولا بكاءً ولا خوفٍ ولا حزنٍ
يا حسرةً بقيتُ في القلبِ تحرقني

ما أحلمَ اللهَ عني حينَ أمهلني
تمرُّ ساعاتُ أيامي بلا ندمٍ
يا زلةً كنتُ في غفلةٍ ذهبتُ

(١) الحلية لأبي نعيم (٥٩/١٠).

أبشر أخي! فالباب ما زال مفتوحاً، فتعال عجل قبل غرغرة الروح، هيا تب إلى الله
توبة نصوحاً، تب توبة صائم (كيف إستمع هذه المحاضرة بعظوان توطئت طائم) عرف معنى
الصيام، توبة صائم ذاق طعم رمضان، توبة صائم قرأ بقلبه القرآن، توبة صائم أثر فيه
القيام، تب توبة صائم مقلع عازم، معترف نادم، تب قبل فوات الأوان .

سؤال الحلقة

قال ﷺ: ((وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ)) .

١ يغفر له

٢ يتوب

٣ يعتق من النار

[١٥]

صور من حياة التائبين

شاهد

الحمد لله دعا عباده إلى التوبة، ووعدهم بقبول توبة التائبين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: تعال معي - أخي - نقرأ صفحات من توبة التائبين، خاصة في رمضان، شاب مفطر، لم يركع لله ركعة منذ مدة طويلة، شارك بعض الصالحين رحلة إفطار، صلى معهم المغرب، تأثر بكلامهم، رجع وفي الطريق وأثناء قيادة سيارته كان يحاسب نفسه، ويقول: إلى متى وأنا على هذا الحال؟ أما أن الأوان للاستقامة؟ ما الذي يردني؟ وصل إلى البيت مبكراً على غير عادته، تعجبت زوجته من قدومه المبكر، وعندما سألته قص عليها ما جرى، فرحت زوجته، واستبشرت بأيام الفرح، بعد أن كانت أيامها كلها حزناً منذ تزوجته، بسبب ما يقترف من المعاصي، وما به من قسوة وشدة، استيقظ في الساعة الثانية ليلاً، توضأ ووقف يناجي ربه في الصلاة، ويستغفر لذنبه، وطول غفلته، وكثرة معصيته، يطيل في السجود والقيام، قبل الفجر استيقظت زوجته للسحور، فرأته ساجداً، فرحت كثيراً، واقتربت منه وهو ساجد، انتظرتة طويلاً، أشفقت عليه، وضعت يدها على ظهره قائلة: يا أبا فلان! ارفق بنفسك؟ وبدل أن يجيبها سقط على جنبه.

روحانية صائغ

١٠٨

سبحان الله!! لقد مات وهو ساجد، مات في أول ليلة بعد التوبة، الله أكبر!
يختص برحمته من يشاء، **فيا من غره طول الأمل! عجل قبل فوات الأوان، فهاهو
رمضان قد حل وسوف يرتحل** ، قال يحيى بن معاذ: " **الذي حجب الناس عنه
التوبة طول الأمل، وعلامة التائب إسبال الذمعة، وحب الخلوة، والملاسبة للنفس عند كل همة**".

ومن تأمل أحوال التائبين في رمضان، ونظر لحالهم في صلاة التراويح والقيام،
خشوع ودموع وخضوع، شاب في زاوية المسجد، معروف بعصيانه وغفلته، وضع وجهه
بين يديه.. أجهد بالبكاء، انهمرت الدموع على خديه.. إنها توبة صائم تذكر ما
سلف من الذنوب والمعاصي .

فتار وأبدي لنا شأنه
فأسبل بالدمع أجفانه
فأبكى عداه وخلصه
فهذا لعمر ك قد كان هو

أثار التذكر أجزانه
وقام وستر الدجى مسبل
وبكى ذنوباً له قد مضت
ومن لم يكن قلبه جمرة

شاب آخر، شدني إليه شدة مناجاته لربه.. علم أن له رباً يغفر الذنب،
فاستغفره، سارع يقرع الباب؛ لعلمه أن الله سريع الحساب، فذل وانكسر لغافر
الذنب، وقابل التوب شديد العقاب.. تمنيت لو عانقته فقلت له: هنيئاً لك
بعينيك الدامعتين من خشية الله، هنيئاً لك برمضان هذا العام .

روحانية صائمه

وشاب آخر، في دعاء القنوت لم يستطع أن يكتب شهقة خرجت من بين الضلوع، وهو يسمع الإمام يردد: "اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، واقبل توبتنا، واغسل حوباتنا، وأعتق من النار رقابنا". فأخذ الشاب يرتعد، ويبكي بصوت مسموع، تمنيت حينها لو ذكرته قول الحق - سبحانه - : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (١).

فأجرُ ضعيفاً يحتمى بحماكا	بك أستجيرُ ومن يجيرُ سواكا
للتَّوبِ قلبٌ نائِبٌ ناجاكا	يا غافرَ الذنبِ العظيمِ وقابلاً
حاشاك تطرد لأئذا حاشاكا	أتردُهُ وتردُّ صادقُ توبتي
رانتُ على قلبي فضلَ سناكا	أنا كنتُ يا ربَّ أسيرَ غشاوةٍ
وبدأتُ بالقلبِ البصيرِ أراكا	واليوم ربي محوت غشاوتي

إنها صور تكثر في رمضان، تحكي قصص التائبين (وهذه بعض قصصهم في محاضرة صور من حياة التائبين) ، وأنين المذنبين، وآهات النادمين، وتقول للغافلين المفرطين : رغم أنف من أدرك رمضان فلم يغفر له؟ فويل للمعاندين، وويل للقاسية قلوبهم، عجا لم يؤثر فيهم الصيام! ولم يتعضوا حتى وهم في رمضان !!

(١) سورة الزمر [٥٣] .

يقول أحدهم: لماذا هم يبكون ولا أبكي؟ لماذا أحاول أن أبكي فلا أستطيع؟
الجميع يبكون وأنا لا! لماذا؟ لماذا؟ ﴿كَلَّا بَلْ رَأَىٰ مَلَكًا قَلْبُهُمْ شَآءَ أَن يَخْسِبُونَ﴾^(١)،
فبسبب أفعالك حُجِبَ قلبك عن الخير، وجفت الدمعة في عينيك، ((عَيْنَانِ لَا
تَمْسُهُمَا النَّارُ : عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))^(٢).

أخي! يا ابن الإسلام! أيها العاقل! يا ابن الكرام! أيها الحبيب! هل تسمع
الكلام؟ فنحن في رمضان، وأنت ما زلت في غيبك وضلالك يا مسكين! فإلى متى
وأنت أسير؟ وإلى متى وأنت في غيبك تسير؟.

أسألك أخي! إن لم تخف من الرب، فهل لك قلب؟! فالقرآن لا يؤثر فيك!
والمواعظ لا تحييكَ! وليالي رمضان في اللهو تغريك، بدل أن تنجيك، وتصفيد
الشياطين لم ينفع فيك! فأحسن الله عزاءك فيك!.

أخي! يا كل من يسمع كلامي! أعيذك بالله أن تكون من هؤلاء، استعد
بالله من شر نفسك، فإن للنفس شروراً، فقل لها :

(١) سورة المطففين [١٤]

(٢) رواه الترمذي في فضائل الجهاد، باب فضل الحرس في سبيل الله. وقال: حسن غريب. وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

وفي موسمِ الخصبِ أن تحرمي
أطيبِ الوقوف.. ولا تسأمي
فحسبكِ ذلكِ من مغنم

أعيذكِ من نزعاتِ الهوى
على عنباتِ الرِّضا والسَّلامِ
فإن جادَ بالعفو ربُّ السماءِ

فهيا أخي! لا تسوف، ولا تؤجل التوبة، فهذا هو رمضان، فأعلن التوبة الآن،

نعم في هذا المكان، فريما رحلت قبل رحيله ، وربما ودعتنا أو ودعناك قبل

توديعه، ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَةَ الَّذِي نُفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَلَاقِيكُمْ﴾^(١).

هذه بشائر ومبشرات، فالتائبون والتائبات بالعشرات والمئات، أجزانهم تفيض
بالعبرات، وعبر الهاتف أطلقوا الزفرات، ورسائلهم تئن بالحسرات .

فلا تبك -أخي- بكاء اليأس، وابك بكاء الفرح، وانثر دموع السعادة بالحياة
الجديدة، بادروا تتردد، إياك والتسوية، أسرع قبل فوات الأوان .

فهذا ممثل، وزوجته - أيضاً - ممثلة، يقولان: " لقد أدركنا الحقيقة التي
يجب أن يدركها الجميع، وهي أن الإنسان مهما طال عمره، فمصيره إلى القبر، ولا
ينفعه في الآخرة إلا عمله الصالح"^(٢).

(١) سورة الجمعة [٨].

(٢) الممثل محسن محي الدين وزوجته الممثلة نسرين .

وممثلة أخرى تقول: " لأول مرة أحسست بنقاء الإنسان، في حرم الله، فقررت التوبة، وسلكت سبيل الالتزام، حيث أحسست بالفرق الهائل بين حياتي سابقاً ولاحقاً، فقد صار لحياتي قيمةً ومعنى^(١)

ويقول زوج إحدى المذيعات التائبات: "بعد ارتدائها الحجاب كنت أتوهم أنها سوف تتحول إلى زوجة معقدة وملتزمة ومتجهمّة؛ لهذا كنت أتخوف كثيراً من قرارها ارتداء الحجاب، ولكن فوجئتُ واقعياً بعكس ذلك تماماً، فقد تحولتُ إلى إنسانة أكثر رقةً وتسامحاً، ووجدت اهتمامها يتزايد بي زوجاً، وبأولادنا وبيتنا. لَمَّا سألتها عن سرِّ هذا التغيير قالت: قرأت القرآن ودرسته، وعرفت حقوقى وواجباتي: زوجةً، وأمّاً، وربةً بيتٍ .

واليوم أنا أكثر تمسكاً منها بقرار توبتها وارتدائها الحجاب؛ إذ إنها تستيقظ كل يوم في الرابعة صباحاً قبل صلاة الفجر، وقبل ذلك كانت لا تستيقظ إلا في الواحدة بعد الظهر، كما أنها تحثني وأبنائي على أداء الصلوات، وتحفظهم القرآن، وتعلمهم أحكام الدين. وكل ما أقوله: إنني أدعو الله لها أن تستمر في هذا الطريق، وأحمد الله الذي هداها إليه، وأدعوه أن يحفظها من كل شيطان رجيم" اهـ.

^١ مجلة الأسرة (العدد ٦٧ - ص: ٤٠)

ولا تزال أفواج التائبين من الضانين وغيرهم إلى الله تترى، وقوافلهم تسير إلى الله سيراً حثيثاً ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾^(١)

ما أجمل حياة التائبين وما أحلاها، فيا رب، يا رب، ارحم من لا راحم له سواك، ولا ناصر له سواك، ولا مؤوي ولا مغيث له سواك، مسكينك وفقيرك، وسائلك ومؤملك ومرجيك. لا ملجأ له ولا منجأ له منك إلا إليك .

سؤال الحلقة

قال يحيى بن معاذ: "الذي حجب الناس عن التوبة.....".

١ كثرة الشهوات

٢ طول الأمل

٣ وجود الشبهات

(١) سورة الإسراء [٨١] .

[١٦]

طريقنا إلى التوبة

شاهد

الحمد لله التواب الرحيم، الغفور الغفار لمن تاب وأناب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فيا أيها التائب! التوبة لها طريق واضح وناجح، فتعال نتلمس هذا الطريق، إذ لا يكفي الحماس في التوبة، وليست التوبة مجرد همٍّ ورغبةٍ، وفورة عواطف، كما هو واقع الكثير من التائبين والراغبين في التوبة! خاصة في رمضان، شهر وشهران، ثم يرجع لحاله، ويقوده الحنين لأفعاله، فمن كان صادقاً جاداً في التوبة، فلا بد من التنبيه والتحذير من أخطاء يقع فيها الراغب في التوبة، وقبلها لا بد من التدرج؛

فإن للتوبة مراحل متتابعة أخصها لك بست نقاط :

* أولاً: الاعتراف بالخطأ والتقصير دون مكابرة أو مراوغة، أو جعل الآخرين

شماعة للتقصير، بل القناعة الذاتية من الداخل بالخطأ، ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ**

حَتَّىٰ يَغْيِرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾^(١) وكما يقال: معرفة الداء بداية الدواء ؟

(١) سورة الرعد [١١] .

روحانية صائغ

* **ثانياً: لا بد من البحث عن أسباب التقصير، وحصرها، ثم إيجاد الحلول، وهنا**

لا بد من الاستشارة والاستخارة .

* **ثالثاً: الإعداد النفسي لاتخاذ قرار التوبة، ووضع خطة لتنفيذه، والتفكير في**

العقبات وتذليلها، وإذا استعنت فاستعن بالله .

* **رابعاً: تنفيذ القرار بجديّة وشجاعة، دون تردد، بل بعزم وتصميم، وتوكل على**

رب العالمين؛ ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ (٢).

إذا كنتَ ذا رأيٍ فكنْ ذا عزيمة فإن فساد الرأي أن تترددا

* **خامساً: مرحلة التشافي، وقد تطول؛ فتكون من ستة أشهر إلى سنة كاملة،**

وهي مرحلة وقاية، ومحافظة على التوبة، وهنا يكثر التراجع عند البعض لعدم

معرفة فن التعامل مع النفس، وتهذيبها، وتزكيتها، بل البعض يُكثر جلد الذات

كما يقال، والإثقال على النفس، وأوصيك هنا بتشجيع نفسك، وتذكر

إيجابياتك بكثرة، خاصة في هذه المرحلة، واعلم أن العزيمة والإصرار هما سر

النجاح .

(٢) سورة آل عمران [١٥٩] .

* سادساً: النجاح والقضاء على المشكلة، أو المعصية من أصلها، وهي مرحلة

الاستقرار والثبات .

روحانية صائغ

وللثبات وسائل، من أهمها: (تعالوا أحبتي نستمع الى محاضرة الثبات في زمن المتغيرات)

(١) وضوح هدفك في الحياة، والإخلاص والصدق في التوبة،

(٢) القناعة والرضا، ووضوح النهج وسلامة المعتقد،

(٣) الاعتصام بالله، والعلم الشرعي، ومراقبة الله والخوف منه،

(٤) الصاحب الصالح، وكثرة النظر في السير والتراجم،

(٥) كثرة ذكر الله وقراءة القرآن

(٦) املاً قلبك بالحب الصادق لله .

هذه مراحل ست باختصار شديد لمن أراد التوبة والتغيير للأفضل، لا بد من المرور

فيها حتى يكون الطريق إلى التوبة طريقاً ناجحاً .

ثم إليك أخي وباختصار - أيضاً - سبعة أخطاء أو شبهات في التوبة تكثر

لدى البعض من الشباب :

أولاً: احذر تأجيل التوبة، فالمبادرة بالتوبة من الذنوب واجبة، لا يجوز تأخيرها،

فتأخيرها ذنب آخر. قال ﷺ: ((إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَدْنَبَ كَانَتْ نُكْنَةً سَوْدَاءَ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ

تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَعْفَرَ مَقِلَ قَلْبِهِ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ، فَذَلِكَ الرَّأْيُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ ﴿

كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَيْهِ قُلُوبُهُمْ فَمَا كَانُوا بِكَيْسِيُونَ ﴾ ((١)).

(١) سورة المطففين [١٤] .

ثانياً: ترك التوبة مخافة الرجوع للذنوب مرة أخرى، وهذا كثير في الشباب، بل تب أخي، واصدق في التوبة، واعزم على عدم الرجوع للذنوب، واهجر مكان المعصية، ووسائلها، فإن رجعت إليه فتب مرة أخرى، وثانية، وثالثة، بل وعاشرة، ومئة، ((لا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا))^(١). ما دمت صادقاً جاداً في توبتك كل مرة، محققاً شروط التوبة، وإياك أن تمل، فيفوز الشيطان في الجولة الأخيرة، فتكون من الهالكين .

ثالثاً: ترك التوبة خوفاً من لئز الناس، وبالأخص جلساء المعصية، وشركاء الذنب، والله أحق أن يُخشى، واعلم أن ما تلاقيه من استهزاء، إنما هو امتحان وابتلاء، ليظهر الصادق من الكاذب، بل إن ثبتك الله فستجد أن المستهزئ بك أصبح مبجلاً لك، بل قد يقتدي بك في يوم من الأيام .

رابعاً: ترك التوبة مخافة سقوط المنزلة، وذهاب الجاه والشهرة، فلا تطاوعه نفسه على إذهاب جاهه وشهرته بالتوبة. ولا شك أن ذلك نقص في الدين والمروءة والعقل؛ إذ الشهرة والجاه عرض زائل، ينتهي بنهاية الإنسان، ولن ينفعه إذا هو قدم على ربه إلا ما قدم من صالح الأعمال، ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، وأجل التعويض وأصفاه: الأُنس بالله، وراحة النفس، وطمأنينة القلب .

(١) جزء من حديث رواه البخاري في الإيمان، باب أحب الدين إلى الله عز وجل أدومه. ومسلم في صلاة المسافرين، باب أمر من نعى...

خامساً: التماذي في الذنوب اعتماداً على سعة رحمة الله، فإذا زجر العاصي عن معصيته، قال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ فَهْوَرٌ رَحِيمٌ** ﴾^(١). ونسي أو تناسى قول الحق - جل وعلا - : ﴿ **إِنَّ الذِّينَ أَفْنَاهَا وَالذِّينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ فَهْوَرٌ رَحِيمٌ** ﴾^(٢).

ولا ريب أن هذا سفه وجهل بدين الله، فرحمة الله قريب من المحسنين، لا من المسيئين المفرطين، ولا المعاندين المصرين، وقد قرن الله مغفرته بأليم عقابه في أكثر من آية في كتابه فقال: ﴿ **تَبَّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْفَهْوَرُ الرَّحِيمُ** ﴾ [وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ]^(٣)، وقال: ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَفَهْوَرٌ رَحِيمٌ** ﴾^(٤).

وما ذلك إلا ليستقيم العبد بين الخوف من الله، والطمع في رحمته، فلا يترك التوبة يأساً من رحمة الله، ولا يتركها كذلك اغتراراً بسعة رحمته .

سادساً: الاغترار بامهال الله للمسيئين، فإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين الا لمن أحب، ﴿ **فَلَا تُفْرِنَكَ أَفْهَاهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ** ﴾^(٥)، فما هذا الذي هم فيه من النعيم في الدنيا إلا استدراج وإمهال من الله، حتى إذا أخذهم

(١) سورة البقرة [١٩٩].

(٢) سورة البقرة [٢١٨].

(٣) سورة الحجر [٤٩ . ٥٠].

(٤) سورة الأعراف [١٦٧].

(٥) سورة التوبة [٥٥].

أخذهم أخذ عزيز مقتدر؛ ﴿لَا يَفْرُكُهُ نَقْلُهُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِيهِ الْبِلَادِ﴾ (مَلَأَ قَلِيلٌ نَفْسَ مَاوَاهُمْ
جَهَنَّمَ وَبَسَّ الْفَهَادُ)^(١). وقال النبي ﷺ: ((إِنْ أَلَّ اللَّهُ لِبُغْيٍ لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُعْلِنَهُ
)^(٢).

سابعاً: الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي، فهناك من الناس من إذا قيل له: لم
لا تصلي؟ لم لا تتوب من المعصية؟ قال: إذا أراد الله ذلك! أو يقول: مكتوب علي
ذلك!. وهذا خطأ وضلال، وانحراف في إيمانه بالقدر، حيث إن الإيمان بالقدر لا
يمنح العاصي حجة في ترك الواجبات، أو فعل المحرمات، ولو كان هذا مقبولاً
لأمكن كل أحد أن يفعل ما يخطر له من قتل النفوس، وأخذ الأموال، وانتهاك
الأعراض، ثم يحتج بالقدر، ولا يناله العقاب. ولو اعتدى أحد على مالك أو
نفسك واحتج بالقدر أكنت ترضى له الاحتجاج بالقدر وسقوط العقوبة عنه؟
وفي الختام: اسأل نفسك - أخي - متى التوبة إن لم تكن في هذه الأيام؟
ومتى دفع المهور للحوار العين في الجنان، إذا لم تكن في رمضان؟

(١) سورة آل عمران [١٩٦ - ١٩٧].

(٢) رواه البخاري في تفسير سورة هود، الآية [١٠٢]. ومسلم في البر والصلة، باب تحريم الظلم.

روحانية صائغ

١٢٢

إن أبواب الجنة قد فتحت لك - أيها التائب الصائم- فلماذا هذا الجفاء لمن يقابلك بالإحسان؟ لماذا هذا الإعراض لمن يقابلك بالغفران؟ ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم؟ ﴿فَغُفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

ولكن متى الفرار إلى الله إن لم يكن في شهر الصيام؟! فأقبل يُقبل عليك، واسمع لقوله يُفتح عليك، ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾^(٢).

في رمضان، وأكثر من الاستغفار؛ قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمِن يَفْعَلِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وََلَمْ يُبْرِئُوا عَلَٰنَةً مَا فَعَلُوا وَهُم بِمَا فَعَلُوا هَٰوِينَ﴾^(٣). أي إذا صدر منهم ذنب أتبعوه بالتوبة والاستغفار، ورجعوا إلى الله عن قريب، ولم يستمروا على المعصية ويصروا عليها غير مقلعين عنها، ولو تكرر منهم الذنب تابوا عنه، اللهم إنا نستغفرك ونتوب إليك، اللهم تقبل منا رمضان، وارزقنا اللهم فيه توبة ترضيك، تغفر بها ذنوبنا، ربنا ظلمنا أنفسنا ظلماً كثيراً؛ فإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، اللهم تب على التائبين، واغفر لنا وللمسلمين أجمعين.

(١) سورة الذاريات [٥٠].

(٢) سورة طه [٨٢].

(٣) سورة آل عمران [١٣٥].

سؤال الحلقة

المبادرة بالتوبة من الذنوب

١ واجبه

٢ سنه

٣ مندوبه

روحانية صائمه

(١٧)

حوار مع نائب

شاهد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد: تأمل - أخي الحبيب - في هذا الحوار بيني وبين هذا النائب (وان
شكك ايضا ان نستمع الى المحاضرة كاملة حوار مع نائب ففضل) : قابلته ووجهه يتهلل، وعلامات
الراحة والسعادة على محياه، أشعر أن الدنيا لا تسعه مما هو فيه من الأنس
والفرح، فرحت - يعلم الله - لحاله، وقبل أن تصافح يدي يده كان شريطُ
الذكريات يمرُّ سريعاً في ذاكرتي، أتذكر جيداً يوم أن قرع بابي، فاعتذر له أولادي
بانشغالي، وتحت إلحاحه وإصراره، وأنه يحتاجني لضرورة ماسة، خرجت إليه، وعند
عتبة الباب فوجئت بوجه شاحب، عليه آثار الحزن والبكاء، أخبرتني عيناه أنها لم
تذق طعم النوم.. سلمت عليه، فردَّ السلام، وقد سبقني بالدخول، وكأنه لم يصدق
أن الباب قد فُتح له، حاولت أن أذكره أن وقت صلاة الجمعة قد اقترب، فأخبرني أن
هناك أمراً هاماً، وأنه لا يمكن تأجيله، لم يترك لي فرصة الرد عليه، بل توجه
للمجلس فدخل، ودخلت خلفه، وبدون مقدمات قال بصوت حزين: " أنا لا أستطيع
أن أصلي، لا أستطيع، حاولت مراراً، وكلما اتجهت للمسجد - ثم وضع وجهه بين
يديه وأجهش بالبكاء - ثم قال بصوت متقطع: نعم كلما اتجهت للمسجد

روحانية صائغ

أصابتني رعشة وخوف، أجاهد نفسي أُصبرها؛ فأدخل المسجد، وأصلي مع الناس،
لكني لا أستطيع أن أقف، كل شيء في جسدي يرتعش، ويسيل جسمي من العرق،
أحاول أن أقرأ، أن أقول شيئاً، يأتيني من الوسوس والهواجس والأفكار ما يعذبني
بل يمزقني، أعيش في عذاب لا يعلمه إلا الله؟! وفجأة، وإذا بيده تضغط على يدي
فتوقف شريط الذكريات، فسلم علي بحرارة وهو يتمتم بكلمات شكر وثناء
ودعوات، قطعتها عليه بقولي: كيف حالك يا فلان؟ فقال: أعيش في راحة
وسعادة عظيمة لا يعلمها إلا الله!؟

فقلت: أتذكر قولك: أعيش في عذاب لا يعلمه إلا الله؟ فكم هي المدة
الزمنية بين هاتين الكلمتين؟ بل ما هي الأسرار التي جعلت العذاب سعادة في
حياتك!؟

فقال: أنت أعلم مني بها!!

قلت: إن كنت تعني ما ذكرته لك في ذلك اللقاء فهي ليست أسراراً، بل
يعرفها كل مسلم...

فقاطعني بسرعة قائلاً: نعم لكن لم يندق كل أحد حلاوتها، والله إنني كنت
أظن السعادة في تلك الأعمال التي نعملها - وكان قد حدثني عن رحلات الزنا

روحانية صائغ

واللواط والمخدرات، وأنواع الفساد والضياع- قال: لقد عرفت طعم الحياة، أشعر
أنني أعيش مثل الناس...

فقلت: على رسلك، فمن قال لك: إن الناس ذاقوا طعم الحياة؟ إن هذا الكنز
الذي وجدته يفقده الكثير الكثير من الناس!؟

فقال متعجلاً: أعني الصالحين منهم!

قلت له: حتى بعض الصالحين، يفقد هذا الكنز!؟ نعم فليس كل صالح ذاق
حلاوة الإيمان، وطعم الصلة بالله، وأنت الآن تعيش أياماً جميلة، أيام التوبة
والرجوع إلى الله، تتذوق حلاوة الدمعة والندم على ما فات، وأخشى عليك أن تفقد
هذا الكنز وهذه العواطف والمشاعر.. فكم من التائبين بل حتى من الصالحين يطلقون
الحسرات والآهات على المراحل الأولى من صلاحهم، تبكير للمسجد، وجلسات لقراءة
القرآن وحفظه، وصلاة بخشوع، وذكر وتسبيح، وكثرة توبة واستغفار، وصيام للأيام
البيض، وصلة للأرحام، وزيارة للأقارب والإخوان .

فقاطعني وقال متلهفاً: وكيف أحافظ على هذا الكنز، فإني أخاف من
الانتكاس والحرمان؟

فقلت له: الوسائل كثيرة، لكن من أهم شروط التوبة: العزم على ألا تعود
للذنب؛ فشدّ بنيان العزم بهجر كل ما يُذكرك بالذنب؛ من وسائل الفساد، ورفقة
السوء، اعرف قدر لطفه بك، وحفظه لك، يوم منّ عليك بالتوبة، فإنما نهاك عن
المعاصي حمايةً لك، وأمرك بالطاعة رحمةً وإحساناً بك، لا حاجةً منه إليك. ثم إياك

روحانية صائغ

إياك أن تنسى أو تغفل عن الاعتصام بالله، فإن كنت صادقاً مع الله بتوبتك، فاستعن بالله، واعتصم به، فلا عاصم لك إلا الله .

قال: كيف ؟!

قلت: بأن يلهج لسانك بالدعاء والذكر، والتوبة والاستغفار، وكثرة قراءة القرآن، فأنجع علاج للثبات، وطرد الشيطان ووسوسته، كثرة ذكر الله . وأخيراً .. تذكر.. واحذر:

ورب فتى يسعى إلى كل زلةٍ	ويجبو إلى الخيرات وهو حزينٌ
ترأى له العيش الجميل فغره	وقد تخدم الدنيا فتى فيهونُ
أقول له : أسرفت في فعل منكرو	وجاوزت حدَّ الله يا مسكينُ
بذلت له نصحي وقلت له: اعتمد	على خالقٍ يُعطي الفتى ويصونُ ^(١)

أيها الأخ ماذا دهاك؟ حتى بعث هداك بهواك، كيف تعصي مولاك وهو يرعاك، يا من أطلق لقلبه الهيام، في أودية المعاصي والشهوات، وأطلق لعينه النظر إلى الحرام، ولسمعه التلذذ بالغناء والفحش، ولجوارحه العبث بالقيم والمبادئ والأعراض .

أيها العاصي! كم يوم غابت شمسُه وقلبك غائب، وكم ظلام أُسبل سِتره وأنت في عجائب.

أيها العاصي !

(١) العشماوي، نقوش على واجهة القرن الخامس عشر (ص ٤٦ . ٤٧) .

قل ما شئت فهو مكتوب .

واعمل ما شئت فأنت محاسب .

أيها الكاتب! اكتب ما شئت .

أيها الشاعر! اشعر كيف شئت .

أيها الغافلون! اعملوا ما شئتم، ولكن قبل أن تتقدموا خطوة اعلموا أن هناك

كتاباً لنا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَنَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ

وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾^(١). فأف لمن فعل شيئاً فلم يجعله في رضاه، وتباً لمن أسرف في القبيح

ونسيه .

ومثلك بالبكاء أحرى
الذي قدّمته أولى
ت والرحمن لا ينسى
قبل حلول ما تخشى
لعل الله أن يرضى^(٢)

أتضحك أيها العاصي
وبالحنن الطويل على
نسبت قببح ما أسلف
فبادر أيها المسكين
بإقلاء وإخلاء

(١) سورة آل عمران [٥].

(٢) البصرة (٤٨/١).

تذكر أخي! أن من جاهد نفسه في الله هداة، ومن أتاه يمشي، هرولةً أتاه، ومن تقرب منه شبراً تقرب منه ذراعاً، ومن تقرب منه ذراعاً تقرب منه باعاً .

أَتُوبُ إِلَيْكَ إِلَهِي مَنَابَا ومهما ابتعدتُ أزيدُ اقتربَا
ومهما تجاوزتُ حدِّي فَإِنِّي أوجّه نحوكَ قلباً مُذَابَا
إِلَهِي وَأَنْتَ قَرِيبٌ مَجِيبٌ أَنَا جِيكَ أَطْلُبُ مِنْكَ الثَّوَابَا

فتب أخي! فإن رحمة الله لمن جاهد نفسه، وندم واستغفر، وليست للغافلين المسرفين، فإنك تقرأ في القرآن: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا﴾ - لمن ١٩-
﴿لَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾^(١). والمغفرة لمن ١٩: ﴿وَأَنبِئْهُمْ أَنَّهُمْ لَفِئَةٌ كَلْبًا فَالْمَنُ وَفَالْمَنُ وَفَالْمَنُ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَوْا﴾^(٢).

اعلم - أخي- أن الهوى يُقسي القلب، فلا تياس، وأكثر من التنقيب؛ لتتفجر ينابيع الإيمان، أكثر من الاستغفار والتوبة، وحاول، وجاهد، واصبر، ولا تستعجل النتائج، فإن لهذه المحاولات المتكررة آثاراً ستجدها ولو بعد حين.

قال ابن القيم: "زمت صخرة الهوى على ينبوع الفطنة، فاحتبس الماء، فإذ لم تطق رفعها فاتق حولها، لعل ينابيع الماء تنفجر"

فيا أختي الغالية! ويا أخي الحبيب! هل ستتفجر ينابيع الخير فيك؟ وهل ستسيل هذه الدمعة على خديك؟ فإننا نعلم أناساً لم تدمع أعينهم يوماً من الأيام من أجل الله، لم يذوقوا حلاوة المناجاة لله، لم تسل الدمعة على الخدين خشيةً وخوفاً من الله، عَجَلٌ، وبادرٌ، ولا تُسَوِّفُ، فالأيام تمرُّ، والصفحات تطوى،

(١) سورة الأعراف [١٥٦] .

(٢) سورة طه [٨٢] .

والأعوام تتوالى، والموت يتخطف الجميع، نسأل الله لنا ولكل مسلم ومسلمة حسن الختام.

سؤال الحلقة

أهم شروط التوبة:

١ العزم على ألا تعود للذنوب

٢ كثرة ذكر الله.

٣ ترك رفقة السوء

روحانية صائغ

[١٨]

روائع الأسفار

شاهد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.
وبعد: فقيام الليل من أفضل الطاعات، وأجل القربات، بعد الصلاة المفروضة؛
سئل ﷺ: أَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ؟ فَقَالَ: ((أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ
الصَّلَاةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ))^(١).

والأسفار: جمع سَحَر، وهو آخر الليل قبيل الصُّبْح، وقيل: هو ثلث الليل
الآخر إلى طلوع الفجر. وقيل: السَّحْرُ هي الساعة التي تفتح فيها أبواب الجنة^(٢).

قلت لليل: هل بجوفك سرّ
قال: لم ألق في حياتي حديثاً
عامر بالحديث والأسرار
كحديث الأحاب في الأسفار

(١) جزء من حديث رواه مسلم في الصيام، باب فضل صوم المحرم.

(٢) انظر: لسان العرب (٤/٣٥٠)، مادة (س ح ر).

روحانية صائغ

١٣٢

قال الزمخشري: " إنما سمي السحر استعارة؛ لأنه وقت إدبار الليل، وإقبال النهار، فهو منتفست الصبح
اه" (١).

الأسحارة وقت سكون الليل، وخلو البال، يجتمع فيه القلب، وتسمو فيه
الروح، وتصفو فيه النفس، ويهدأ فيه الصوت .
سل الليل عن الأحباب فعنده الخبر، فلا تسمع إلا همسات المحبين، وأزيز
الخشعين، وأنين التائبين، وآهات المذنبين .
الأسحار أفضل الأوقات للتطوع بالصلاة، وأقرب ما يكون العبد من ربه،
وهي وقت الذكر والصفاء ،
الأسحار هي وقت فتح أبواب السماء، واستجابة الدعاء، ووقت
الشوق والحنين، ورفع حوائج المسلمين لمالك يوم الدين .
الأسحار هي وقت نزول الرحمة وحضور الملائكة، ووقت التنزل الإلهي .
الأسحارة هي نعيم الدنيا وبهجتها، فهي المنهل العذب للصالحين، والمورد
الزلال للمتقين .

وفي الزهد لأحمد بن حنبل: أن داود -عليه السلام- سأل جبرئيل فقال: يا جبرئيل! أي الليل
أفضل؟ قال: يا داود! ما أدري إلا أن العرش يهتد به السكّر" (٢).

وروي أن يعقوب - عليه السلام - لما قال له أبناؤه: ﴿ اسْتَغْفِرْنَا ﴾ أَخْرَجَهُمْ إِلَى
السَّحَرِ بِقَوْلِهِ: ﴿ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ﴾ (٣).

(١) أساس البلاغة للزمخشري (ص: ٢٠٤)، مادة (س ح ر).

(٢) الزهد للإمام أحمد (ص ١١٣)، ط ١، ١٤٠٦، دار الكتاب العربي، بيروت، تحقيق زغلول .

(٣) سورة يوسف [٩٧] [٩٨]

وروائع الأسحار (مناظرة رائطة لا نظونكم) : حديث عبير كلماته من نسيم

السحر، وأريج أفاضه من أنفاس المهجدين .

يا حبيب القلوب أنت حبيب
يا طبيباً بذكره يتداوى
طلعت شمس من أحبك ليلاً
إن شمس النهار تغرب ليلاً
فإذا ما الظلام أسبل سترًا
فإلى ربها تحن القلوب
أنت أنسي وأنت مني قريب
كلّ ذي علة فنعم الطبيب
واستنارت فما تلاها غروب
وشمس القلوب ليس تغيب
فإلى ربها تحن القلوب

ها قد أقبلت العشر الأواخر من رمضان، وهبت رياح الأسحار، فشمرو المشمرون،

وشدوا مآزرهم، وكأنني بهم يخرجون من بيوتهم في ثلث الليل الأخير يتسابقون

لبیوت الله، هجرو الفراش ولذة النوم .

نعم قمتم - أيها الإخوة- وتوضأتم فأسبغتم الوضوء، صفت نفوسكم،

وحنتم قلوبكم، واشتاقتم أرواحكم للقاء الحبيب، نصبتم لله أقدامكم، واستفتحتم

صلاتكم كما كان يفعل قدوتكم ﷺ إذا قام من الليل يتهجّد ويقول: ((اللَّهُمَّ لَكَ

الْحَمْدُ، أَنْتَ فَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، لَكَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ

فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَالْقَاوُكُ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَالْجَنَّةُ الْحَقُّ، وَالنَّارُ الْحَقُّ،

وَالنَّبِيُّونَ الْحَقُّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ الْحَقُّ، وَالسَّاعَةُ الْحَقُّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ،

وَالْبَيْتُ أَنْبَتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَالْبَيْتُ حَاكَمْتُ، فَاعْفُزْ لِي مَا قَدَمْتُ وَمَا أَخْرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا

روحانية صائغ

أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدَّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخَّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ...))^(١). بمثل هذه الكلمات وهذه المناجاة تحن القلوب إلى مولاها، وتشتاق للسهر وأي سحر اعترافاً وإقراراً، وتمجيداً وانكساراً !! ثم يشرع الإمام ليشقَّ سكون اللَّيْلِ بصوته الرَّخِيم، ويرتل القرآن بقلب خاشع سليم، فتقفون عند عجائبه وزواجره، وتتحرك به القلوب، فبين خاشع وباكٍ، ومتأوهٍ وشاكٍ، ثم تركعون للعظيم، فتناجونه بالتعظيم، بقلوبٍ كسيرة، ونفوسٍ فقيرة، ((اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسَلْتُ، خَشَعْتُ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي، وَمَخَّي وَعَظْمِي وَعَصَبِي))^(٢). فلا إله إلا الله! ما أطيب هذه الكلمات! وما أجمل هذه المناجاة! حتى الدَّماء واللُّحومُ، بل حتى الأعصاب والعظام خشعت لله ربِّ العالمين، لم يعد الخشوع في القلب فقط، بل سرت المحبة في الأجزاء كلها، فلم يبق فيها عرق ولا مفصل إلا وقد دخله الحبُّ، وخالط القرآن اللَّحْمَ والدَّم فَاسْتَنَارَ القلب، وانشرح الصدر .

وكلُّهم بات بالقرآن مندمجاً كأنه الدَّم يسري في خلاياه
فالأذن سامعة، والعين دامعة والرُّومُ خاشعةٌ والقلبُ أواه

(١) رواه البخاري في الجمعة، باب التهجد بالليل. ومسلم في صلاة المسافرين، باب صلاة النبي ودعائه بالليل.

(٢) جزء من حديث رواه مسلم في صلاة المسافرين، باب صلاة النبي ﷺ ودعائه بالليل .

ثم تأتي لحظات السجود للواحد المعبود، فيا لها من سجدةٍ، وما أشرفها من لحظة، فهي لب القيام، كيف لا؟! وهي ساعة القرب من الرب، كما قال خير الساجدين **عليه السلام**: ((أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ؛ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ))^(١)،

فسجد خاضعاً خاشعاً ذليلاً منكسراً، يذكر محبوبه ويتوجه إليه، ويستعطفه ويتملق بين يديه، عنراً فلا أستطيع وصف حال الساجدين في الأسحار، فما يُذاق بالقلب لا يمكن وصفه باللسان، وعبارة النسيم لا يفهمها إلا المشتاق، لكن لو رأيتهم وهم سجد، والخدود شهود: فقائل: لا أعود، وقائل: هل تجود؟ وقائل: هل أنا مطرود؟ وقائل: كيف الورود؟.

ثم تأتي لحظات السحر الأعلى، وهي ما بعد الصلاة، فإذا صلى جلس مطرقاً بين يدي ربه هيبه له وإجلالاً، واستغفره استغفار من قد تيقن أنه هالك إن لم يغفر له ويرحمه، ولسان حاله يقول: إلهي انصرف الناس إلى خدورهم، فخلا كلُّ خليلٍ بخليله يناجيه، وبقيت أنا أناجيك، وأنا أحبُّ من يحبُّك .

(١) رواه مسلم في الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود .

فأنت عندي كروحي
حسبي من الحب أني
بل أنت منها أحب
لما تحبُّ أحبُّ

هكذا هي روائع الأسحار، وهكذا هم أهل الأسحار، وهكذا هي الليالي العشر
الأواخر من رمضان، من يذوق هذه الحلاوة ؟ ومن يتلذذ بمثل هذه المناجاة ؟
فأقبلوا على الله يقبل الله عليكم.

سؤال الحلقة

قَالَ ﷺ: ((أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ))

١ الوتر

٢ الضحى

٣ الصلاة في جوف الليل

روحانية صائغ

(١٩)

صور من روائع الأسحار

شاهد

الحمد لله، والصلاة على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد: كنا في الحلقة السابقة في ظل روائع الأسحار، ونتابع اليوم عرض بعض الصور من هذه الروائع؛ ونبدأ بهذه الصورة من روائع الأسحار يعرضها علينا القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الْمُنَاقِبِينَ فِيهَا جَنَّاتٌ وَعُيُونٌ ۖ مَا تَلَاهُمْ مَا أَنَالَهُمْ رَبُّهُمْ أَنَّهُمْ كَانَهَا قَبْلَ ذَلِكَ مُجْسِنِينَ ۖ** ﴾ [**كَانَهَا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۖ**] **وَبِالْأَسْبَارِ هُمْ يَسْتَفْهِرُونَ ۖ** [**وَفِيهَا أَمْهَالٌ مَّكَّةٌ لِّلسَّائِلِ وَالْمَغْرُورِ**] ^(١). صورة جميلة لأهل الأسرار في الأسحار، فهم ينامون قليلاً، ويتهددون كثيراً، ومع ذلك يستغفرون وكأنهم مجرمون، لكنه اتهام النفس، واستصغار العمل، فالمخلص لا يرضى بشيء من عمله، وفي هذا من الافتقار والانكسار للعزیز الغفار ما يملأ القلب سعادةً وانسراحاً، ويعجز عن وصفه اللسان .

لبستُ ثوبَ الرِّجَا والنَّاسُ قد رَقَدُوا وقمتُ أشكو إلى مولاي ما أجدُ
وقلت: يا عدتِي في كلِّ نائِبَةٍ ومَنْ عليه لكشف الضَّرِّ أَعْتَمِدُ

وصورة أخرى من روائع الأسحار يصورها لنا القرآن؛ قال تعالى: ﴿ **لَّيْسَ لَهُمْ**
جُنُودُهُمْ مِّنَ السَّمَاوَاتِ يَدْعُونَهُمْ رَبَّهُمْ نَوْفًا وَقَطَمًا ۖ فِيمَا رَرَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ ^(٢).

(١) سورة الداريات [١٥ - ١٩].

(٢) سورة السجدة [١٦].

روحانية صائغ

المضاجع تدعو الجنوب للرقاد والراحة في الليل، ولكنهم هجروا الفرش خوفاً
وطمعاً؛ فيأتي فضل الله وكرمه: ﴿ **فَلَا تَهَلِكُمْ نَفْسٌ مَّا أَنْفَقْتُمْ لَهَا مِنْ قَرْنٍ أَغْنِيَنَّ بِهَا
كَانَهَا يَفْعَلُونَ** ﴾^(١).

يقول ابن القيم - رحمه الله - : " تأمل كيف قابل ما أخفوهه من قيام الليل بالجزء الذي
أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس، وكيف قابل قلعهم وخوفهم وانظروا بهم على مضاجعهم حين يقومون إلى
صلاة الليل بقرة الأعمى في الجنة "^(٢).

ومن روائع الأسحار قول أبي إسحاق السبيعي: " ذهبَت الصلاة مني، وضعفت، ورق
عظمي، إني اليوم أقوم في الصلاة فما أقرأ إلا بالبقرة وآل عمران "^(٣).

لا إله إلا الله! لما كبر سنُّه، ورقَّ عظمُه، لم يعد يقدر على القيام في الليلة
الواحدة إلا بنحو أربعة أجزاء ١١٩.

ومن صور روائع الأسحار خبر أم سعيد الطائية قالت: " كان بيننا وبينه داود الطائي
جدار قصير، فكدت أسمعُ حديثه عامَّةً الليل لا يهدأ، وربما ترنم في السحر بشيء من القرآن؛ فأرى أن جميع
نعيم الدنيا جمَّة في ترنمه تلك الساعة، وكان لا يسرح "^(٤). أي لا يُشعل سراجاً .

وهذا سفيان الثوري " إذا أصبح مدَّ رجله إلى الحائط، ورأسه إلى الأرض كي يرجع الدم إلى
مكانه من قيام الليل "^(٥). وكان يقول: " إذا جاء الليل فرحت، وإذا جاء النهار حزنت "^(٦).

(١) سورة السجدة [١٧] .

(٢) حادي الأرواح (ص ٢٦٠). الناشر مطبعة المدني، جدة .

(٣) سير أعلام النبلاء (٤٤٣/٨) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٤٢٤/٧)، وحلية الأولياء (٣٥٦/٧) .

(٥) مقدمة الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي (٩٥/١) .

(٦) المرجع السابق (٨٥/١) .

وكيف لا يعشقون الليل وفيه ينزل الرب، وصلاة الليل والناس نيام هو
طريقهم إلى الجنة بسلام، وهو موعد لذتهم وأنسهم

صورة أخرى من روائع الأسحار يرويها لنا أبو سليمان الداراني يقول: "بينا أنا
ساجد إذ ذهب بي النوم، فإذا أنا بالحوراء قد ركضتني برجلها، فقالت: حبيبي أتقد عيناك والملك يقظان،
ينظر إلى المتعجدين في تعجدهم؟ بؤساً لعينه آثرت لئلا نوم على مناجاة العزيز، قم فقد دنا الفراخ، ولقي
المحبوب بعضهم بعضاً، فما هذا الرقاد؟ حبيبي وقرة عيني! أتقد عيناك وأنا أرتب لك في الخدور منذ كنا
وكذا؟! قال أبو سليمان: فوثبت فرحاً، وقد عرقت استحياءً من توبيخها إياي، وإن حلاوة منطقتها لفي سمعي
وقلبي" (١).

قال الحسن بن عرفة: "رأيت يزيد بن هارون بواسط وهو أحسن الناس عينية، ثم رأيت به عيه
واحدة، ثم رأيت وقد ذهبت عيناه، فقلت: يا أبا خالد! ما فعلت العيناه الجميلتان؟ فقال: ذهب بهما بكاء
الأسحار" (٢).

قال الحسن البصري: "يا حسه عيه بكت في جوف الليل من خشية الله" (٣).
ومن روائع الأسحار ما ذكره ذلك التائب بعبارات جياشة، ومشاعر صادقة،
ذكر أنه مدمن مخدرات، وصاحب أسفار وشهوات، وكل ما يخطر لك على بال،
هكذا قال، ولكن قلب كيانه سماع شريط ترك له زميله.
يقول: "سمعت الشريط، فتحدث عن الاعتماد على الله، وحسن الصلة بالله،
وأنه لا حول ولا قوة للنفس الضعيفة إلا بالله، فقلب كياني، وهز وجداني، فقد
كنت أعتمد في كل ضيق وشدة على المخدرات، حتى أصبحت هي ملاذي

(١) صفة الصفوة (٤/٢٢٥) بتصرف يسير .

(٢) المرجع السابق (٣/١٨).

(٣) الزهد للإمام أحمد بن حنبل (ص ٣٩٧).

وملجأى، فما زلت مع نفسي أصارحها وألومها، كيف أترك الله القاهر، القوي القادر، وآوي إلى هذا البلاء؟ أي نفس أنت أيتها النفس؟! مهينة حقيرة، أسيرة لبضع حُبيبات، أف لك أيتها النفس، ثم أجهشتُ بالبكاء، والندم والحسرة يأكلان قلبي، فعاهدت الله من حينها أن أتوب، وأن أكون صادقاً في توبتي واعتمادي على الله، كنت أنتظر متى تغيب الشمس؟ متى يأتي الليل لأخلو بربي، وفي تلك الليلة خرجت إلى الصحراء، وقفت وحيداً في ظلمة الليل، فاستقبلت القبلة وكبرت، وأخذت أدعو ربي دعاء المستغيث، أتوسل إليه بأسمائه الحسنی تارة، وبرحمته تارة، أخذت أبكي، وأتضرع إليه، وأشكو إليه حالي، وما وصلت إليه، وأُح عليه بأن يرفع عني هذا البلاء، وأن يشفيني ويُعافيني، اعترفت له بذنبي وضعفي، وذلي وفقري وحاجتي، فلم أشعر بنفسي إلا والفجر قد اقترب. فرجعت إلى البيت، وجلست أنتظر الصلاة فأخذتني إغفاءة فرأيت امرأة لم أر في جمالها امرأة قط، وهي تقول لي: قم يا فلان، قم صلِّ فأنت على خير، يقول فقمت فزعاً، وقد أحسست أنني لبست جلدًا غير جلدي الأول، وشعرت بانسراح في صدري، وكأنني وُلدت من جديد، يقول: فلم أعرف المخدرات بعد ذلك اليوم، وها أنا أدخل امتحانات الجامعة ولأول مرة في حياتي معتمداً على الله وحده، وكلني أمل ويقين بتوفيق الله لي، فقد ذقت حلاوة الدعاء، ولذة الاستجابة، ولن أرضى بها بديلاً...".

يُقسم على هذا بالله العظيم مرات عديدة، وقد ذكر في قصته أشياء عجيبة، وأحسبه صادقاً ولا غرابة، فللأسحار أسرار، ألم يقل الرحيم الغفار في الحديث القدسي: ((مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَعْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ مَنْ ذَا

روحانية صائغ

الَّذِي يَسْتَرْزُقُنِي فَأَرْزُقَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَكْشِفُ الضَّرَّ فَأَكْشِفُهُ عَنْهُ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ
الْفَجْرُ))^(١).

وفي صحيح مسلم قال ﷺ: ((إِنْ مِنْ اللَّيْلِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ
خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ))^(٢).

فأين أصحاب الحاجات؟ أين المرضى؟ أين المضطرون؟ أين التائبون؟ أين أصحاب
الهموم والآلام، والمشاكل والأحزان، أين هم عن ثلث الليل الأخير، أين هم عن التضرع
في الأسحار، بدل أن تمتد أيديهم عن ذلّة وصغار للمخلوقين والضعفاء، أفلا يستحيي
العبد من ربه ومولاه، وقد ابتعد عنه وعصاه، وهو يقول: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ
يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾^(٣).

ومن روائع الأسحار ما قاله الهيثم بن جَمَاز عن زوجته، قال - رحمه الله - :
"كانت لي امرأة لا تناخ اللبل، كنت لا أصبر معها على السَّهْم، فكدت إذا نعست ترضع عليّ الماء في أنقل ما أكون
من النوم، وتنبهني برجلها وتقول: أما تستحي من الله؟ إلى كم هذا الغطيط؟ فوالله إن كنت لأستحي مما
تصنع"^(٤). ف((رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى، ثُمَّ أَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي
وَجْهِهَا الْمَاءَ، وَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ، ثُمَّ أَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ
فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ))^(٥).

(١) رواه الإمام أحمد (٢/٢٥٨). وصححه أحمد شاكر (المسند بتحقيقه ١٣/٢٥٠).

(٢) رواه مسلم في صلاة المسافرين، باب في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء.

(٣) سورة غافر [٦٠].

(٤) قيام الليل للمروزي (مختصر قيام الليل للمقريزي ص ٨٧).

(٥) أخرجه النسائي في قيام الليل. وأبو داود في الصلاة. وابن ماجه في إقامة الصلاة. وصححه الألباني في صحيح النسائي.

قال أبو الزناد: " كنت أخرج من المسجد إلى مسجد النبي ﷺ، فلا أمُّ بيتٍ إلا وفيه قارئٌ . " وقال أيضاً: " كنا ونحن فنياه نريد أن نخرج حاجة فنقول: موعدكم قيام القراء" (١).

أما اليوم فنشكو إلى الله أحوال بعض المسلمين، فلا تكاد تمرُّ بيوتهم في صلاة الفجر، إلا وتسمع غطيظ أهلها بالنوم بعد سهر الليل على مسلسلات الحب والغرام، وكلمات الفحش والإجرام، ليلٌ صاخبٌ، ووجه شاحب، وابتعاد عن الهدى الأول، فإلى وقتٍ قريبٍ لم يكن ليلُ المسلمين هكذا، بل كان ليل الأباء والأمهات، والأجداد والجدات، ليل الصالحين والصالحات، ليل الراكعين والساجدين، ليل التائبين والمستغفرين، فما الذي دهانا معشر البنين والبنات، سيئات وشهوات، وقنوات ومسلسلات، وباع جنة عرضها الأرض والسماوات، بسجنٍ ضيقٍ بين أرباب العاهات والبلديات، فما الذي أصابنا؟. فيا من أظهر الجميل! وستر القبيح! يا مغيث المستغيثين! ويا قرة أعين العابدين!! ها نحن جئناك تائبين منكسرين خاضعين، فاقبل توباتنا، واستجب دعوتنا، وارحم عبْرتنا، وأقلِّ عثرتنا، وتقبل منا .

سؤال الحلقة

قال ﷺ: ((إِنْ مِنْ سَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ))

- ١ الليل
- ٢ الصباح
- ٣ السحر

(١) قيام الليل للمروزي (مختصر قيام الليل للمقرئ ص ٨٣) .

[٢٠]

قيام الليل

شاهد

الحمد لله الذي أمر نبيه محمداً ﷺ، بقيام الليل فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ (١) قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١)، والصلاة والسلام على خير مَنْ صَلَّى وصام وقام، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد: فيا أيها الشباب من الفتيان والفتيات، والآباء والأمهات! إن قيام الليل ولحظات الأسحار هو الزاد الذي نحتاجه في مثل هذا الواقع، وهو الدواء للقلوب القاسية الجامدة 🐦، ولو بضع ركعات ودقائق ولحظات، فهي علامة الخير، وبداية الطريق ليتعود الناس على الصلّة بالله .

أما أنتم أيها المحرومون (نسأل الله تعالى أن نكون منهم استمع إلى محاضرة المحرمون) ! يا من حرمتم أنفسكم روائع الأسحار، وجعلتموها مرتعاً لهتك الأستار، ومقارفة الآثام، تأملوا حال الناس في صلاة القيام وفي جلسة الاستراحة، فهذا يقرأ القرآن يرتله ترتيلاً، وهذا رافع يديه يدعو ربّه ويرجوه، وآخر تجاهد عيناه الكرى، ورابع قبع في زاوية المسجد يبكي ويتضرّع وكأنه قتل قتيلاً، فهذا يبكي لذنوبه، وهذا يندب لعيوبه، وهذا يتأسّف على فوات مطلوبه، ذاك يعاتب نفسه على التقصير، وآخر يتفكر في هول المصير، وهكذا فهم في غاية الأُنس، ومنتهى السعادة واللذة، يعيشون في جنّة الدنيا، يتفيؤون ظلالها، ويستنشقون نسائمها

(١) سورة المزمّل [١ - ٢] .

روحانية صائغ

سل الليل عن الأحبار فعنده الخبر، وسل الأسحار عن الأسرار تظهر ما
ستر، فأخبارهم أرق من نسيم السحر 🐦
قال عبد الله بن وهب: "كلُّ ملذوذٍ إنما له لله واحدةٌ، إلا العبادة فإنَّ لها ثلاثَ لذاتٍ: إذا كنتُ
فيها، وإذا تذكَّرتُها، وإذا أعطيتَ ثوابها".

وأما الشهوات فكلُّما تذكَّرتها العبدُ فغُصصُ وآهاتٌ، وندمٌ وحسراتٌ.
وهذا أبو سليمان الداراني يقول: "لأهل الطاعة في ليهم ألدُّ من أهل اللغو بلهوهم"^(١).
أيها الغافلون! شتان بين ملاهي الشيطان وبين آيات الرحمن، شتان بين
السهر في الأسواق بيوت الشيطان، وبين السهر في المساجد بيوت الرحمن 🐦
أيها السَّاهرُ على الخنا والغناء! اسمع لروائع الأسحار، فقد ذكر الإمام
أحمد في (كتاب الزهد) أن محمد بن نافع تممَّ في السَّكر بيتٍ من الشَّعرِ، فرفع هرم به حياهُ
عليه السوط، وجلده على الظهر قائلاً له: "أفي هذه الساعة التي يترا فيها الرحمه، ويستجاب فيها
الدُّعاء، تتممُّ بالشعر؟! "^(٢).

رحمك الله يا هرم بن حيان! فكيف لو رأيت أهل هذا الزمان، وهم يقبلون
قنوات الشيطان في وقت نزول الرحمن؟ وعلى مسمع من القريب والجار، فما من
ناصح ولا منكر، فأين أنت؟ وأين سوطك؟!.

هذه روائع الأسحار شممنا شيئاً من نسيمها هذه الأيام، وذقنا شيئاً من
حلاوتها في رمضان 🐦، فهل ترانا نغفل عنها بعد أيام، وقد ذقنا حلاوة القيام،

(١) صفة الصفة (٤/٢٢٨).

(٢) الزهد للإمام أحمد (ص ٣٣٣).

وهل نكون كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً؟! فيا من كان له قلب
فانقلب، ويا من كان له وقت مع الله فذهب، قيام السحر يستوحش لك، صيام
النهار يعاتبك

وصف شميظ بن عجلان أبناء الدنيا فقال: " دائم البطنة، قليل الفطنة، إنما هممة
بطنه، وفرجه وجلده، يقول: متى أصبح فأكل وأشرب وألهو وألعب، ومتى أمسى فأناص، جيفة بالليل، بطال
بالنهار"^(١). ويحك ألهذا خلقت؟ أم بهذا تطلب الجنة، وتهرب من النار؟!

جاء رجل إلى محمد بن سيرين فقال له: علمني العبادة. فقال له ابه سيره: أخبرني
عن نفسك كيف تأكل؟ قال: أكل حتى أشبع، فقال: ذاك أكل البعائم. قال: كيف تشرب الماء؟ قال: أشرب
حتى أروى. قال: ذاك شرب الأنعام، اذهب فتعلم الأكل والشرب، ثم تعال حتى أعلمك العبادة.

ولهذا قال بعض أهل العلم: "دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن،
وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين"^(٢).

فيا أخي الحبيب! قم الليل، واقرأ القرآن، وتضرع عند السحر، ولو بركعتين،
فعن محمد بن طلحة بن مصرف قال: "كاه أبي يأمر نساءه وخدمه وبناته بقيام الليل فيقول:

(١) حلية الأولياء (٣/١٢٧).

(٢) قاله إبراهيم الخواص رحمه الله، الحلية لأبي نعيم (١٠/٣٢٧).

صلوا ولو ركعتيه في جوف الليل؛ فإن الصلاة في جوف الليل تحط الأوزار، وهي مه أشرف أعمال الصالحين^(١).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَيْسٍ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - : ((لَا تَدَعُ قِيَامَ اللَّيْلِ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ لَا يَدْعُهُ، وَكَانَ إِذَا مَرِضَ أَوْ كَسَلَ طَلَى قَاعِدًا))^(٢).

وفي الصحيحين عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ((يَا عَبْدَ اللَّهِ! لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ))^(٣).

أيها المبارك! أيها القدوة! يا شعلة الخير! "لا بدَّ مه قيام الليل، ولو بقدر حلب الشاة" كما قال ابن سيرين رحمه الله^(٤).

سئل شيخ الإسلام بن تيمية عن الوتر فقال: " الحمد لله، الوتر سنة مؤكدة باتفاق المسلمين، ومه أصل على تركه، فإنه تُرد شهادته...، والوتر أوكد مه سنة الظهر والمغرب والعشاء، والوتر

(١) قيام الليل للمروزي (مختصر قيام الليل ص: ٨٧) .

(٢) رواه أحمد. وأبو داود في الصلاة، باب قيام الليل، وصححه الألباني في صحيح أبي داود(ح١١٥٩).

(٣) رواه البخاري في الجمعة، باب ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه. ومسلم في الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر.

(٤) الزهد للإمام أحمد (ص ٤٣٠).

أفضل من جميع تطوعات النهار، كصلاة الضحى، بل أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل، وأؤكد ذلك الوتر
وركعتا الفجر، والله أعلم" (١).

وقال الإمام أحمد بن حنبل: " من ترك الوتر عمداً فهو رجل سوء، ولا ينبغي أن تقبل له
شهادة ". قال ابن مفلح: " هذا محمول على تأكيد الاستحباب " (٢).

وأخيراً أيها الإخوة! وبعد هذا كله، لماذا لا نقوم الليل؟ هل سألنا أنفسنا هذا
السؤال؟ فالجميع يتمنى قيام الليل، وإذا سمع أخبار الصالحين تحسروا لو تشبه
بهم، فما الذي يمنعنا إذاً؟ سأل رجل الحسن البصري فقال: يا أبا سعيد، أحياني قيام
الليل، فما أطيقه؟! فقال: يا ابن أخي! استغفر الله، وتب إليه، فإنها علامة سوء".

وقال: " إذا لم تقدر على قيام الليل، ولا صيام النهار، فاعلم أنك محروم، قد كبلتك الخطايا
والذنوب ". وكان يقول: " إن الرجل لينتبه لذنوبه فيحرم به قيام الليل".

فالسري في ضعفنا وفتورنا وكسلنا - رغم حبنا لقيام الليل - هي المعاصي والذنوب،
قيدتنا وأسرتنا، نستغفر الله ونتوب إليه، ومن أشدها أثراً الغل والحسد، وسوء الظن
بالأخرين .

قال سفيان الثوري: " حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنوب أذنبته ". أعلمون ما هو الذنب؟! قيل
لسفيان: وما هو؟ قال: " رأيت رجلاً يبكي، فقلت في نفسي: هذا مردء " (٣).

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٨٨/٢٣) .

(٢) المبدع (٣/٢) .

(٣) الحلية (١٧/٧) .

رحمهم الله، قلَّتْ ذنوبهم فعلموا من أين أُثُوا، أما نحن كثرت ذنوبنا فلم ندر من أين أتينا. ومن عرف الداء، بحث عن الدواء، ودواء القلوب سلامة الصدر، وحسن الظن، وحب الخير للآخرين، ودواء الذنوب الإقلاع والندم، وكثرة التوبة والاستغفار، ولا يكون هذا إلا بالانتصار على النفس. نسأل الله أن يعيننا على أنفسنا، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين .

ومن الأسباب التي تُعينك - أخي الحبيب - على قيام الليل:

أولاً: ترك الذنوب والمعاصي، وسلامة الصدر .

ثانياً: أكل الحلال، والابتعاد عن الحرام .

ثالثاً: تذكر الموت عند النوم، والحرص على الأوراد والأذكار، والاستعانة بالله بالدعاء

رابعاً: فعل الأسباب المادية من القيلولة، مرّ الحسن - رحمه الله - **يقوم في السوق فرأى**

صخبهم ولغظهم، فقال: أما يقبل هؤلاء؟ قالوا: لا، قال: إني لأرى ليلهم ليل سوء^(١).

ومن الأسباب المادية النوم مبكراً، ووضع منبه، وتبكير العشاء، فإنَّ النوم على

الشُّبَع له آثارٌ وخيمةٌ على الروح والجسد، فقد قال سفيان الثوري: "عليكم بقلّة

الأكل تملكوا قيام الليل".

خامساً: تذكر حلاوة الخلوة بالله، ولذّة المناجاة للحبيب جلّ وعلا، وعظم الأجر

منه. هذه من أهمّ الأسباب المعينة على قيام الليل، وغيرها كثير.

(١) انظر: الزهد للإمام أحمد (ص ٣٨٢).

سؤال الحلقة
قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ((لَا تَدَعُ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ لَا يَدَعُهُ)).

١ صيام الاثنين والخميس

٢ قيام الليل

٣ تفقد المساكين

روحانية صائغ

[٢١]

فضل العشر الاواخر

شاهد

الحمد لله الذي هيا لعباده فرص الطاعات، وجعلها مشروعة في جميع الأزمان والأوقات، لتزكو بها نفوسهم، وتصفو بها قلوبهم، ويحطوا بها عن خطاياهم، فيرقون بها إلى أعلى الدرجات، ويحققون بها أسمى الغايات، والصلاة والسلام على نبينا محمد أسبق الخلق إلى الطاعات، وعلى آله وصحبه ومن استن بسنته واستبق الخيرات .

أما بعد: عباد الله! عجباً لهذا الزمان، وسرعة طيه للساعات والأيام، فما هو شهر رمضان قد أذن بالرحيل، ولم يبق منه إلا القليل، فاتقوا الله - عباد الله - واغتنموا مواسم الخير بعمارتها بما يقربكم إلى ربكم، واحذروا من التفريط والإضاعة؛ فستندمون على تفريطكم وإضاعتهم.

وبادروا - يرحمكم الله - فُرص هذا الشهر قبل فواتها، واحفظوا نفوسكم عما فيه شقاؤها وهلاكها، فتداركوا ما بقي منها بصالح الأعمال.

ومن هذه النفحات الربانية: العشر الأواخر، أفضل الليالي، فجدوا واجتهدوا، واستيقظوا ولا ترقدوا، فمن تذكّر حلاوة الثواب، وعظّم الأجر، ولىلة القدر، هان عليه مُرُّ المجاهدة . فقد كان الحبيب ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في

روحانية صائمه

غيره، وفي الصحيح عن عائشة - رضي الله تعالى - عنها قالت: ((كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرَ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيَّقَطَ أَوْلَاهُ))^(١).

وقد تضمن حديث عائشة - رضي الله عنها - ثلاثة أشياء كان يخص بها رسول الله ﷺ العشر الأواخر (نعالوا نشاهد سويت هذه أكلقه بعنوان العشر الأواخر من برطامج ٣. X٣) أولها: شد المئزر، واختلصوا في تفسيره، فمنهم من قال: هو كناية عن شدة جدّه واجتهاده في العبادة، وقيل: المراد اعتزاله للنساء، وبذلك فسره السلف والأئمة المتقدمون. وقد كان النبي ﷺ غالباً يعتكف العشر الأواخر، والمعتكف ممنوع من قربان النساء بالنص والإجماع. قال الله - عز وجل - : ﴿لَا تَبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِيهَا الْمَسَاجِدَ﴾.

وقولها - رضي الله عنها - : ((وَأَيَّقَطَ أَوْلَاهُ)) يدل على أن النبي ﷺ كان يوقظ أهله للصلاة في ليالي العشر دون غيرها من الليالي. وخرّج الإمام أحمد والترمذي من حديث عليّ رضي الله عنه أن النبي ﷺ : ((كَانَ يُوقِظُ أَوْلَاهُ فِي الْعَشْرِ الْوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ))^(٢).

قال سفيان الثوري: " أَحَبُّ إِلَيَّ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرَ الْوَاخِرَ، أَن يَتَهَجَّدَ بِاللَّيْلِ، وَيَجْتَهِدَ فِيهِ، وَيَنْهَضُ أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ إِلَى الصَّلَاةِ إِنْ أَطَاقُوا ذَلِكَ".

وقد صح عن النبي ﷺ أنه كان يطرق فاطمة وعلياً - رضي الله عنهما - ليلاً فيقول لهما: ((قَوْمًا فَطَلَبًا))^(٣).

(١) رواه البخاري في صلاة التراويح، باب العمل في العشر الأواخر من رمضان. ومسلم في الاعتكاف، باب الاجتهاد في العشر الأواخر.

(٢) رواه أحمد. والترمذي في الصوم، باب ليلة القدر. وصححه الألباني في صحيح الترمذي (ح٦٣٧).

(٣) رواه البخاري في التهجد، باب تحريض النبي ﷺ على قيام الليل.. ومسلم في صلاة المسافرين. والنسائي - واللفظ له - في قيام الليل.

وفي هذه العشر ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر، وهي في الوتر أرجى ما تكون ، كليلة إحدى وعشرين، وخمس وعشرين، وسبع وعشرين، وهو أشهرها دليلاً، وقيل: لا يبعد أن تكون ليلة القدر دائرة بين أوتار العشرة، وليست في ليلة منها ولا تخرج عنها .

ولما كان دخول شهر رمضان غير قطعي فرب ليالٍ نعوذها أوتاراً هي في واقع الأمر شفع، وليست بوتر، وإذا كان الأمر كذلك فإن العبد المسدد لا يقصر نشاطه على الأوتار من العشر، بل يجتهد العشر كلها، مقتدياً في ذلك برسول الله ﷺ والى - تعالى - يقول: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِيهَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ () وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ () لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ () نَزَّلْنَا الْمَلَائِكَةَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرِ () سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ()﴾^(١).

إنها ليلة ذات قدر؛ لنزول القرآن فيها، أو لما يقع فيها من تنزل الملائكة، أو لما ينزل فيها من البركة والرحمة والمغفرة، أو أن الذي يحييها يصير ذا قدر .

وقيل: سميت ليلة القدر لأن الله تعالى يقدر فيها وقائع السنة، ويدل له قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِيهَا لَيْلَةَ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ () فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ كَبِيرٍ ()﴾^(٢).

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ()﴾ والتساؤل بهذا الأسلوب للتعظيم كما في قوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ()﴾ فيه النص صراحة على علو قدرها ورفعتها؛ إذ أنها تعدل في الزمن فوق ثلاث وثمانين سنة، أي فوق متوسط أعمار هذه الأمة .

(١) سورة القدر [١-٥].

(٢) سورة الدخان [٣-٤].

قال النخعي: العمل فيها خير منه العمل في ألف شهر .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))^(١).

وقوله عز وجل: ﴿ تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَهُنَّ فِيهَا بِأَذْنٍ مِنْ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ آفَاقٍ ﴾ أي: يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، والملائكة يتنزلون مع البركة والرحمة، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن، ويحيطون بحلق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العالم تعظيماً له .

وأما الروحُ فقيل: المراد به هاهنا جبريل عليه السلام. وقيل: هم ضرب من الملائكة .

وقوله عز وجل: ﴿ سَلَامٌ هِيَ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ عن مجاهد قال: " هي سائلة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً، أو يعمل فيها أذى " .

وقال قتادة: ﴿ سَلَامٌ هِيَ ﴾ أي هي خير كلها إلى مطلع الفجر " ^(٢).

فيا من فرط أول الشهر، إياك أن تفوتك هذه النضحات، واسمع إلى قول نبي الرحمات ﷺ: ((إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حَرَمَهَا فَقَدْ حَرَمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَا يُحْرَمُ خَيْرًا إِلَّا مَحْرُومًا))^(٣).

فإياك أن تكون محروماً، فأكثر من الصلاة والذكر وقراءة القرآن فيها، وأكثر من الدعاء؛ فقد ورد عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قلت: يَا رَسُولَ

(١) تقدم تخريجه .

(٢) جامع البيان لابن جرير الطبري (١٦٨/٣٠).

(٣) رواه ابن ماجه، وصححه الألباني (تقدم تخريجه في الحلقة الأولى) .

اللَّهُ! أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: ((قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ
تُحِبُّ الْعَفْوَ فَأَعْفُ عَنِّي))^(١).

قال يحيى بن معاذ: " لو لم يكن العفو أحب الأشياء إليه، لم يبذل بالذنوب أكرم الناس عليه ".
وفي الحديث القدسي: ((يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ
فِيكَ وَلَا أُبَالِي))^(٢).

أيها الصالحون! هذه هي أيامكم قد حلت، ورياحكم قد هبت، فلو قمتم بالأسحار على
أقدام الانكسار، وأكثرتم من الابتهاال والتضرع والاستغفار، لكان الجواب من الله
الكريم الغفار: أشهدكم أنني قد غفرت لكم.

يا ليلة القدر للعابدين اشهدي، يا أقدام القانتين اركعي لربك واسجدي، يا
قلوب المعتكفين اعكفي ومجدي، يا ألسنة السائلين جدي في المسألة واجتهدي .

يا رجال الليل جدوا رباً داعمٌ لا يرُدُّ
ما يقوم الليل إلا من له عزمٌ وجدُّ

عباد الله! كلنا يشتكى تفرق القلب وغفلته، وشعثه وبعده وقسوته، وكلنا
يروح ويغدو في أعمال وأشغال، تطول معها الأحلام والآمال، فتنبه أخي، وقف،
واحذر؛ فالنفس تحتاج لوقفات وخلوات، وفي زمن الفتن والشهوات كثيراً ما ننسى
تربية النفس والذات، ومن تأمل في حال الناس وخاصة الصالحين والصالحات -

(١) رواه الترمذي في الدعوات، باب في فضل سؤال العافية والمعافة، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في الدعاء، باب الدعاء العفو
والعافية. وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (ح ٣١٠٥).

(٢) جزء من حديث رواه الترمذي في الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار. وصححه الألباني في صحيح الترمذي (ح ٢٨٠٥).

فهم ليسوا كغيرهم - وجد ضعفاً في الهمّة، وفتوراً وكسلاً، خاصة في جوانب
العبادة والسلوك

يقول ابن الجوزي رحمه الله: "وأعوذ بالله من سبٍ هؤلاء، الذين نعاشرهم، لا نرى فيهم ذا
همّة عالية فيقتدي بها المبتدئ، ولا صاحب ورعٍ فيستفيد منه المتزهد"^(١).

فإذا كان - رحمه الله - يقول هذا عن أهل زمانه فلا شك أن الخطبَ
أعظم في زماننا الذي فُتحت فيه الدنيا من أوسع أبوابها، والله المستعان .

فنحن بحاجة - إذا - لانتهاز الفرص، واستغلال المواسم؛ للترقي وبناء النفس، ومن
أهم الوسائل لتربية النفس، بل من أنجعها وأكثرها أثراً: الخلوة والانقطاع عن الناس،
فكثرة الخلطة تضعف القلب، تأمل حالنا، ننشغل بأموالنا، وأزواجنا وأولادنا، ورغباتنا
وأصحابنا، نكدح كدحاً عجيباً ننسى فيه أنفسنا، فما أحوجنا أن نعطي النفس حقها،
كم نحتاج أن نخرج عن المألوف المنهك الممل، كم نحتاج النفس لفك أسرها من
شواغلها وكدحها، كم نحتاج النفس لترتاح وتراجع وتتأمل.

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : "لَمَّا كَاهِ صَلَاحُ الْقَلْبِ وَاسْتِقَامَتُهُ عَلَى طَرِيقِ سَبِيلِهِ
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مَتَوَقِّفًا عَلَى جَمْعِيَّتِهِ عَلَى اللَّهِ، وَكَمْ شَغَبَتْهُ بِإِقْبَالِهِ بِالْكَلْبِيَّةِ عَلَى اللَّهِ؛ فَإِنَّ شَغَبَ الْقَلْبِ لَا يَلْمُهُ إِلَّا
الإقبال على الله تعالى، وكان فضول الطعام والشراب، وفضول مخالطة الأنام، وفضول الكلام، وفضول
الانام، مما يزيد شغبتنا، ويشدته في كل واحد، ويقطعه عن سبيله إلى الله تعالى، أو يُضعفه، أو يعوقه ويوقفه،
اقتضت رحمة العزيز الرحيم بعباده أن شرع لهم من الصوم ما يُنهب فضول الطعام والشراب... وشرع

(٤) صيد الخاطر لابن الجوزي (ص ٣٨٧) .

لهم الاعتكاف الذي مقصوده كَلْفُ القلبِ على الله تعالى، وجمعيته عليه، والخلوة به، والانقطاع عنه
الاشتغال بالخلق، والاشتغال به وحده سبحانه؛ بحيث يصير ذكره وحبه، والإقبال عليه في محل هموم القلب
وخطراته، فيستولي عليه بلها، ويصير الهم كله به، والخطرات كلها بذكره، والتفكر في تحصيل مرضيه وما
يقرب منه، فيصير أنسه بالله بدلاً عن أنسه بالخلق؛ فبِعَدُّه بذلك لأنسه به يوم الوحشة في القبور حين لا أنيس
له، فهذا مقصود الاعتكاف الأعظم"^(١). والمزيد مفصلاً في الحلقة القادمة بحوله تعالى

سؤال الحلقة

قال تعالى عن ليلة القدر (تنزل الملائكة والروح فيها) فما المقصود بالروح

١ جبريل عليه السلام

٢ عيسى عليه السلام

٣ آدم عليه السلام

[٢٢]

(١) زاد المعاد (٢/١٦٦).


روحانية معتكف

شاهد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه

وبعد: روحانية معتكف فيها الأرواح تهتز وترتاح، وتطيرُ بغير جناح، فهي في أفراح وأفراح. روحانية معتكف: عاش صاحبها في جنة الدنيا، وفي الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة.

فالاعتكاف دورة سنوية، جاءت بها السنة النبوية، دورة مكثفة لها أثر

عجيب، وفعل في النفس غريب  والاعتكاف هو: لزوم المسجد للتفرغ لطاعة

الله عز وجل، وهو من السنن الثابتة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ. قال الله - عز

وجل - : ﴿وَلَا تَبَاشِرُوهُمْ وَلَا يُبَاشِرُوكُمْ فِيهَا الْمَسَاجِدُ لِلَّهِ يُذَوِّدُ اللَّهُ فُلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يَبَيِّنُ

اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١﴾ .

وقد اعتكف النبي ﷺ، واعتكف أصحابه معه وبعده، فعن أبي سعيد الخدري

رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ اعتكف العشر الأول من رمضان، ثم اعتكف العشر الأوسط في قبة

تركبية على سدتها حصير، قال: فأخذ الحصير بيده فنحاه في ناحية القبة، ثم أطلع رأسه،

فكلم الناس فدنوا منه، فقال: ((إني اعتكفت العشر الأول التمس هذه الليلة، ثم

(١) سورة البقرة [١٨٧].

روحانية صائغ

اعْتَكَفْتُ الْعَشْرَ الْأَوْسَطَ، ثُمَّ أَنْبَيْتُ فَقِيلَ لِي: إِنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَّخِرِ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَعْتَكِفَ فَلْيَعْتَكِفْ^(١).

وفي الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - : ((أَنْ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَّخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ))^(٢).

وفي صحيح البخاري عن عائشة - أيضاً - أنها قالت: ((كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْتَكِفُ فِي كُلِّ رَمَضَانَ عَشْرَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا كَانَ الْعَامَ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ اعْتَكَفَ عَشْرِينَ يَوْمًا))^(٣).

هنيئاً للمعتكفين فقد جاءت أيام اللقاء، أيام الصفاء، أيام الحنين، أقبلت أيام الاعتكاف، فحنت لها قلوب المحبين

كم من معتكف هذه الأيام تقول زوجته: وا حزنناه! وهو يقول: وا طربناه! فقد أتاه ما أشغله وألهاه؛ خلوات، ودعوات، ودمعات، وآيات بينات، وذكر ومناجاة، وركعات وسجادات .

الاعتكاف - معاشر المؤمنين والمؤمنات - قطع العلائق عن الخلائق، للاتصال بالخالق، وإخلاء للقلب من الشواغل عن ذكر الله ، والتفرغ

(١) رواه مسلم في الصيام، باب فضل ليلة القدر، والحث على طلبها، وبيان محلها، وأرجى وقت طلبها.

(٢) رواه البخاري في الاعتكاف، باب الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان. ومسلم في الاعتكاف، باب اعتكاف العشر الأواخر .

(٣) رواه البخاري في الاعتكاف، باب الاعتكاف في العشر الأوسط من رمضان .

لعبادة الله، بالتفكير، والدعاء، والذكر، والاستغفار، وقراءة القرآن، والصلاة،
والتوبة، والانكسار .

في الاعتكاف حماية للقلب من فضول الكلام؛ ومخالطة الأنام، فيقبل
المعتكف على الله تعالى بالقرآن والقيام

وفيه حماية من كثرة النوم والطعام، فإنما اعتكف في المسجد للعبادة، وليس
ليأكل أو ينام، ومن تأمل في نفسه علم أن كثرة الخلطة والكلام، والنوم والطعام،
لها أضرار جسام، وأن التخلص من فضولها يسهم في دفع القلب نحو الاستقامة
والالتزام.

في الاعتكاف يجتمع القلب، وتسمو الروح، وتصفو النفس، ويخلو البال
في الاعتكاف مناجاة الحبيب لمحبوبة، وخضوع العبد بين يدي معبودة، فلا
تسمع إلا همسات المحبين، وأزيز الخاشعين وأنين التائبين، وآهات
المدنبيين .

في الاعتكاف نعيم الدنيا وبهجتها، فهو المنهل العذب للصالحين، والمورد
الزلال للمتقين

روحانية صائغ

فالمعتكف ترك الفراش الوثير، ونام في المسجد على الحصير، من أجل

العليم الخبير

ترك المعتكف الزوج والأولاد، ورضي برب العباد

ترك المعتكف الأشغال والأموال، من أجل الله الكبير المتعال!

فله ما أعظم إخلاص المعتكفين! فهم في خلوات ونوافل وخيرات . والله ما

أطيب قراءة المعتكفين للقرآن! تدبر وتلاوة، ولذة وحلاوة!

لله ما ألد سجود المعتكفين! قال ابن وهب: " رأيت الثوري في الحرم بعد المغرب، صلى، ثم

سجد سجدة فلم يرفح رأسه حتى نودي بالعشاء " (١).

لله ما أجمل ليل المعتكفين (١)! دعاء وحنين، وبكاء وأنين، قال أبو سليمان:

أهل الليل في ليالهم ألد من أهل اللغو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا . (تعالوا نشاهد

هذه أكلقت بعنوان العلاج بالاعتكاف من برنامج ٣. X ٣)

يا سعادة المعتكفين بلحظات السحر، إذا انصرف الناس بعد صلاة القيام

لبيووتهم، وهم في بيوت الله جالسون، يناجون ربهم هيبةً له وإجلالاً، يستغفرون

استغفار من قد تيقن أنه هالك إن لم يغفر له ويرحمه، ولسان حاله يقول :

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٦٦/٧) .

إلهي انصرف الناس إلى خدورهم، فخلا كل خليل بخليله يناجيه، وبقيت أنا
أناجيك، وأنا أحبك وأحب من يحبك .

**فأنت عندي كروحي بل أنت منها أحب
حسبي من الحب أنبي لما تحب أحب**

ما أحسن تفكر المعتكفين وقلة كلامهم! قال عطاء بن أبي رباح: " يا ابيه أخي!
إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام، وكانوا يعدون فضوله ما عدا كتاب الله - عز وجل - أن تقرأه،
وتأمر بمعروف، أو تنهى عن منكر، أو تنطلق بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها

قال إبراهيم بن سليمان: " كنت جالساً مع سفيان، فجعل رجل ينظر إلى ثوب كان على سفيان،
ثم قال: يا أبا عبد الله! أي شيء كان هذا الثوب؟ فقال سفيان: كانوا يكرهون فضول الكلام" (١).

ولله ما أعظم أجر المعتكفين بجلوسهم ببيت رب العالمين! فمن السبعة الذين
يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: ((وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ)) (٢).

**لله ما أسعد المعتكف بالمحافظة على سنة الفجر والإشراق، ونوافل مطلقة
ومقيدة!** 

لله ما أروع الجد والسمت في حياة المعتكفين (تعرف عليها أكثر بالإستماع الى محاضرة
معتكفي انسي وراحتي) ! قال أبو عبيد القاسم بن سلام: " كنت مسنقياً في المسجد الحرام،

(١) حلية الأولياء (٦٠/٧) .

(٢) جزء من حديث رواه البخاري في الأذان، باب من جلس في المسجد. ومسلم في الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة .

فجاءتني عائشة الملية - وكانت مه العارفات - فقالت: يا أبا عبيد! لا تجالسه إلا بأدب؛ وإلا محاك مه ديوان العلماء والصالحيه" (١).

فلعلك بعد هذا - أخي - تتمنى أن تكون من المعتكفين!.

فيا من يستعظم أحوال القوم! تنقل في المراقبي تصل، ويحك لا تحقر نفسك جاهدها، فرغ قلبك من الشواغل، وكن من المعتكفين، لعلك تجد لذة الأنس برب العالمين .

واعلم أن الشيطان سيجلب عليك بخيله ورجله، وسيرسوم لك كثرة الأشغال، وسيضع العراقيل والعقبات، ولكن إن هي إلا لحظات، فتدلف بنية صادقة، وعزيمة ثابتة من عتبة المسجد، وستعلم حينها أنها هي أوهام وتخيلات، وستشعر بلذة حبيبة، وسعادة غريبة، وأنه ليس صعباً تغيير النفس وقطعها عن كل ما اعتادته لمن أخلص نيته، وصدق في عزمته

النفس لا تترك محبوبها إلا لمحبيب هو أحب إليها منه؛ فليكن محبوبها الله، فمتى كان القلب فيه غير الله فالله أغنى الأغنياء عن الشرك، وهو لا يرضى بمزاحمة أصنام الهوى، والحق - عز وجل - غيور يغار على عبده المؤمن أن يسكن في قلبه سواه، أو أن يكن فيه شيء لا يرضاه، فسارعوا إلى إحياء سنة المصطفى ﷺ،

(١) شذرات الذهب (٢/٥٥) .

فقد قال الزهري - رحمه الله- : **عجباً للمسلميه! تركوا سنة الاعتكاف، مع أن النبي ﷺ ما تركه منذ قدم المدينة حتى قبضه الله .**

ثم احذر- أيها المعتكف!- أن تجعل الاعتكاف فرصة للخلوة ببعض الأصحاب والأحباب، ومجلبة للزائرين، وتجاذب أطراف الحديث معهم، فهذا لون، والاعتكاف النبوي لون .

واحذر من اللاهين المثبطين، وإني أنبه البطالين لصوص الأوقات، فأقول:
تجنبوا المعتكفين لا تفسدوا عليهم الخلوات

فيا كل عاقل! الغنيمه الغنيمه في هذه الأيام الكريمة، فما منها عوض، ولا لها قيمة، فمن يعتق فيها من النار فقد فاز بالجائزة العظيمة، والمنحة الجسيمة، فاحرصوا على اللحظات، وتداركوا هذه العشر المباركات، رجالاً ونساءً؛ فعلى المرأة ما على الرجل من أحكام، غير أنه لا بد من إذن زوجها في الاعتكاف .

ويجوز للمرأة أن تعتكف في مسجد بيتها إن لم يتيسر لها في المسجد
فشمري أمة الله، وتعاونوا - معاشر الأزواج- على البر والتقوى، وتمسكوا بسنة نبيكم محمد ﷺ، واجتهدوا في الاقتداء به، لعل الله أن يرحمنا وإياكم، ويتجاوز عنا وعنكم، فقد كثرت الذنوب، ولم يبق إلا عفو علام الغيوب .

روحانية صائمه

سؤال الحلقة

في صحيح البخاري عن عائشة أنها قالت: ((كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْتَكِفُ فِي كُلِّ رَمَضَانَ عَشْرَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ اعْتَكَفَ)).

١ عشرون يوما

٢ ثلاثون يوما

٣ خمسة أيام

(٢٣)

المعروفون في رمضان

شاهد

الحمد لله أقر عيون الصالحين بطاعته، وحرّم منها من شاء بحكمته، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه .

وبعد: رغم أننا في رمضان، ورغم كثرة الجوائز الربانية والحوافز الإلهية، ورغم تنافس الكثير من الناس على الخيرات، وإقبالهم على الطاعات، ورغم الكثير من المبشرات والصور التي تبعث على التفاؤل، إلا أن هناك ما يكدر هذا الصفو، ففي الأسواق مئات الشباب والفتيات، تسكع ومعاكسات، وتبرج وسفور و(موضات)، وفي الحدائق وعلى الشواطئ جلسات ونظرات، وفي الفضائيات أفلام وأغان ومسابقات، وفي تتبع المجالات الفنية تهدر أعظم الأوقات، وفي المقاهي والاستراحات سهرات وجلسات، وفي الشبكات العنكبوتية تُضيع الساعات، وفي التجارة والأسواق غفلة وإغراق. لهم قلوب هواها أثر عندها وأحب إليها من رضا مولاها، فالهوى إمامها، والشهوة قائدها، والجهل سائقها، والغفلة مركبها. قلوب في تحصيل أغراض دنيوية مغمورة، وبسكرة الهوى وحب العاجلة مغمورة .

روحانية صائغ

سبحان الله! إنه الحرمان وأيُّ حرمان! ضياع رمضان! ((وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانٌ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ))^(١).

لقد أدرك هؤلاء المحرومون رمضان، ويسمعون المنادي إلى الله وإلى الدار الآخرة، ولا يستجيبون، فالهوى يصم ويعمي!! 🐦 مساكين هؤلاء! القلب محجوب بإصرارهم على الذنوب، فمنعتهم الذنوب عن الوصول للقلوب، فلم يصلوا إليها ليروا ما يصلحها ويزكيها، وما يفسدها ويشقيها، والحجاب الأكبر يوم القيامة والعياذ بالله؛ كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمُهْجُونَ﴾^(٢)، نعوذ بالله من الحرمان، خاصة في رمضان .

قلوب هؤلاء المحرومين أُشربت الفتن كما يشرب الإسفنج الماء، فتنتت فيها نكت سوداء، حتى تسود القلوب وتنتكس، أصحابها لا يشعرون، أو يشعرون لكنهم عن الخير محجوبون، نعوذ بالله من حال هؤلاء؛ أكنة على القلوب، ووقر في الأسماع، وعمى في الأبصار، وحجاب مستورا يقول تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَجَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ [١٥] وَجَعَلْنَا آفَافَهُمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴿٣﴾

(١) رواه الترمذي في الدعوات، باب قول رسول الله ﷺ رغم أنف رجل... وصححه الألباني.

(٢) سورة المطففين [١٥] .

(٣) سورة الإسراء [٤٥ . ٤٦] .

أيها المحرومون من رمضان! احذروا سخط الرحمن، فقد أمهلكم وبلغكم رمضان، بل ويسر وأعان، فسلسل الشيطان، وأغلق أبواب النيران، وفتح أبواب الجنان، ومع ذلك فعلى القلوب الران؟ حتى في شهر التوبة والغفران!!

أيها المحرومون في رمضان! كل السبل والفرص متاحة لكم الآن، فكل الناس من حولكم يقرؤون القرآن، وهم صيام، ويحرصون على التراويح والقيام، ومع ذلك فعلى القلوب الران؟ حتى في شهر التوبة والغفران!!

أيها المحرومون! فاز الفائزون، وأنتم تائهون، غارقون، مفتونون، فمتى تستيقظون أيها المحرومون! ربما تصومون وتجوعون؛ لكن أين أنتم من حقيقة الصيام؟! ((رَبِّ صَائِمٍ حَظَّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ))^(١).

أين أنتم عن معاني رمضان؟ ففي النهار نوم وصيام، وفي الليل فحش وآثام، فقد صح عن سيد الأنام ﷺ قوله: ((لَيْسَ الصِّيَامُ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، إِنَّمَا الصِّيَامُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ))^(٢).

فمتى تدركون، أنكم عن جمال رمضان غافلون، محجوبون، ومتى تتنبهون؟!

أيها المحرومون! إن للصيام والقيام حقيقة لا يستطيع وصفها لسان أو بيان . إنها جنة الدنيا، وفي الدنيا جنة من لا يدخلها لا يدخل جنة الآخرة 🐦

(١) رواه ابن ماجه في الصيام، باب ما جاء في الغيبة . وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب .

(٢) رواه ابن خزيمة وابن حبان في الحاكم، والبيهقي في السنن . وصححه الألباني في صحيح الجامع .

ويدخل العبد جنة الدنيا يوم يتخلص من أسر الهوى والشهوة، وحيل النفس والشيطان، وتنطلق الروح من الأسر. فاسألوا أنفسكم لماذا استسلمتم طائعين؟

فيا أيها المحرومون! هل تعلمون أن أعداءكم يخططون ويعملون؟
لصرفكم بكل أنواع الشهوات ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً 🐦 فهام يتسابقون لرسم برامج فنية، ومسابقات رياضية، وسهرات ليلية، وكلها باسم تطوير البرامج الرمضانية، إنهم يفتالون رمضان **(الْفِطْرَ أَنْزَلَهُ فِيهِ الْقُرْآنُ)** ^(١)، وأنتم تستجيبون لهم في شبق وهيام، عجباً لكم!

فلمن نستجيب؟ ولمن نسمع ونطيع؟ أنطيع من يريد أن نرجع للجاهلية والظلمات والشهوات؟! أم لمن أخرجنا من الظلمات، وفك أسرنا من المحرمات والشهوات!؟

أيها المحروم! نح على نفسك، وقل: وا أسفاه! واحسرتاه! كيف ينقضي رمضان والقلب محجوب!؟ 🐦 ما شم رائحة القيام، ولا الخشوع والانكسار، ولا حلاوة الصيام، بل خرج الشهر كما دخل، وما ذاق القلب أطيب ما فيه، بل عاش فيه عيش البهائم، فكانت ساعاته عجزاً، وأيامه كمداً، ورحيله حسرة وأسفاً ^(٢).

(١) سورة البقرة [١٨٥] .

(٢) انظر طريق الهجرتين لابن القيم بتصرف (٣٢٧)، ط٢، ١٤١٤هـ، دار ابن القيم .

فيا من كثر نصيبه من الحرمان، إنكم تبحثون عن الأُنس والراحة والسعادة،
فإن لم تُحصل هذه الأيام، وفي رمضان فمتى ؟ ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَهَى فَهُوَ
مُؤْتَمِرٌ فَلَنتُيْنَهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(١).

إذا فبادروا بالتوبة والاستغفار؛ ﴿ هَا أَنْتُمْ تُؤْبَهُوا إِلَيْهِ بِمَأْفَكُمْ فَآلِفًا
حَسَنًا إِلَهُ آجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾^(٢).

إخوة الإيمان! كثيرة هي صور الحرمان، وخاصة في شهر رمضان، ولكل
نصيب بحسب حاله وقوته، وضعفه وغضلته، وسبحان مقلب القلوب! .
قلبٌ أجردٌ! فيه سراجٌ يزهر، فذلك قلب المؤمن .
وقلبٌ أغلفٌ، فذلك قلب الكافر .

وقلبٌ منكوسٌ، فذلك قلب المنافق؛ عرف ثم أنكر، وأبصر ثم عمي، وقلبٌ
تمدُّه مادتان: مادة إيمان ومادة نفاق، وهو لما غلب عليه منهما .
فاسأل نفسك - أخي - أيهما يغلب عندك: مادة الإيمان، أو مادة النفاق
والخدلان؟ فرمضان يشهد للبعض بالإيمان، ويشهد للبعض بالخدلان، فتنبه
أخي! ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ () لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا ﴾^(٣) فأحي قلبك؛ ﴿ إِنَّ فِيهِ ذَلِيلًا
لَذِكْرِهِ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾^(٤) . فابحث عن قلبك .

(١) سورة النحل [٩٧].

(٢) سورة هود [٣] .

(٣) سورة يس [٦٩-٧٠] .

(٤) سورة ق [٣٧] .

(استمع الى محاضرة مبروم في شهر الصوم)

فالمحروم في شهر الصوم: من أدرك رمضان وخرج، والقلب هو القلب: قاسٍ عاصٍ، غافلٍ لاهٍ .!

المحروم في شهر الصوم ظفرت به نفسه؛ فملكته وأهلكته! وصار طوعاً لها وتحت أوامرها، والشهوات اليوم أصبحت كالعروس المجلوة! فالعيون إليها ناظرة، والقلوب عليها والهة، والنفوس لها عاشقة، فمن تتبعها واستغرق فيها اغترَّ وطغى، فشغل بها قلبه، ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَفَفَ [] وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا [] فَإِنَّ الْجَهَنَّمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾^(١).

محروم في شهر الصوم من حرم نفسه من رحمة الله، ومحو الخطايا .
فعجباً لهؤلاء، حتى في رمضان عبادة للبدن والجسد بنزواته ولذاته، وأسر للروح والعقل .

محروم في شهر الصوم من لا تحلو له الزيارات والجلسات، والسهرات والرحلات، إلا في العشر الأواخر، دون مراعاة لشرف الزمان وفضله، والأولى أن تشغل هذه الليالي الشريفة بذكر الله والصلاة، وتلاوة القرآن؛ طمعاً في إدراك ليلة القدر المباركة.
محروم في شهر الصوم من همّه - فقط - تتبع الأصوات، والتلذذ بالنعومات، فيتأثر بالصوت والنعمة أكثر من تأثره بمعاني الآيات، وربما انقضى رمضان، وهو كل ليلة مع إمام لا يفقه من معاني الآيات شيئاً.

محروم في شهر الصوم من انصرف عن صلاة التراويح قبل انصراف الإمام، فمن الناس من يصلي مع الإمام تسليمية أو تسليميتين؛ فتسلط عليه نفسه الأمانة بالسوء فلا يتم باقي التسليمات، وينصرف قبل انصراف الإمام، فيفوته أجر قيام

(١) سورة النازعات [٣٧-٣٩] .

ليلة كاملة، كما روى أهل السنن بسند صحيح أن رسول الله ﷺ، قال: ((مَنْ قَامَ
مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ قِيَامَ لَيْلَةٍ))^(١). وفي لفظ: ((إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا قَامَ مَعَ
الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ حُسِبَ لَهُ بِقِيَّةَ لَيْلَتِهِ))^(٢).

فينبغي للمسلم أن يجاهد نفسه على حضور صلاة التراويح كاملة مع
الإمام، حتى ينال هذا الأجر العظيم .

**محرومٌ في شهر الصوم مَنْ ترك صلاة التراويح والقيام، وأخذ يهيم في الشوارع
والأسواق، وأمام آلات اللهو والفساد، والنبي ﷺ يقول: ((إِنْ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةٌ لَا يَوَافِقُهَا
عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا خَيْرًا إِلَّا آتَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ))**^(٣).

والله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول: ((مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي
فَأُعْطِيهِ ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ ؟))^(٤). والمحرومٌ سادر في هواه، غافل في دنياه، وكم
من محروم من هذه اللحظات الثمينة، والساعات الغالية !.

**محرومٌ في شهر الصوم مَنْ هَمُّهُ فِي رَمَضَانَ مِتَابَعَةُ (الْفَوَازِيرِ) وَالْمَسَابِقَاتِ، وَمِتَابَعَةُ
الْمَسَلِسَاتِ، فِي أَفْضَلِ الْأَوْقَاتِ، تَلْكَ الَّتِي تَرَكَ السَّلَفُ مَجَالِسَ الْحَدِيثِ، أَعْنِي:
أَحَادِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مِنْ أَجْلِ التَّفَرُّغِ لِلْعِبَادَةِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ .**

**محرومٌ في شهر الصوم مَنْ يَنْتَظِرُ إِجَازَةَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، لِلسَّفَرِ خَارِجَ الْبِلَادِ، فِرَارًا
مِنْ أَجْوَاءِ الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ وَالصَّلَاةِ وَالْقِيَامِ! وَالبَحْثِ عَنِ الْفَحْشِ وَالْأَثَامِ! وَهَؤُلَاءِ قَدْ**

(١) رواه الترمذي في الصوم، باب ما جاء في قيام شهر رمضان. والنسائي في قيام الليل، باب قيام شهر رمضان. وابن ماجه في إقامة الصلاة، باب ما جاء في قيام شهر رمضان . وصححه الألباني .

(٢) رواه أحمد في المسند .

(٣) رواه مسلم في صلاة المسافرين، باب في الليلة ساعة مستجاب فيها الدعاء .

(٤) رواه البخاري في الجمعة، باب الدعاء. ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل .

حُرِّمُوا خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، حُرِّمُوا حِلَاوَةَ الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةَ وَالْعِبَادَةَ، وَحُرِّمُوا
الْأَجْرَ الْعَظِيمَ الَّذِي وَعَدَ اللَّهُ بِهِ الْعَامِلِينَ فِي تِلْكَ اللَّيَالِي الْمُبَارَكَةِ، حَرِّمُوا فَضْلَ
لَيْلَةِ الْقَدْرِ الَّتِي هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ . بَلْ رِيَمَا وَقَعُوا بِالْأَثَامِ، فِي أَفْضَلِ اللَّيَالِي
وَالْأَيَامِ .

**محرومٌ في شهر الصوم من يحرص على أداء العمرة في رمضان، وربما اعتكف
العشر الأواخر في بيت الله الحرام لكنه ضيع بناته وأبناءه، فإما يتركهم في بلده بلا
حسيب ولا رقيب، وإما يأخذهم معه إلى مكة فيهملهم هناك في الأسواق وأزقتها، أو
حتى داخل أروقة الحرم، فيحصل بذلك من المفساد في أظهر مكان وأشرف زمان ما
لا يعلمه إلا الملك الديان، و((كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَبْقُوتُ))^(١) . فإما أن
يتابعوا أبناءهم وبناتهم أو يصرفوا النظر عن السفر إن كان سياتر تب ضياع الأبناء
والبنات أو الغفلة عنهم .**

**وأخيراً محرومٌ في شهر الصوم مَنْ حافظ على الصيام والقيام، وعلى الصلاة
المكتوبة مع الإمام، وعلى كثير من شعائر الإسلام، لكنه يصرف شيئاً من أنواع العبادة
لغير الله سبحانه؛ من محبةٍ ودعاءٍ، وخوفٍ ورجاءٍ، واستعانةٍ واستغاثةٍ، وذبحٍ وندبٍ،
وغير ذلك مما لا يجوز صرفه إلا لله عز وجل؛ فيبطل بذلك صيامه وصلاته
وسائر أعماله، لقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ أَشْرَكَ أَنْ يَبْتَاطِنَ عَمَلُهُ وَهُوَ مِنَ الْفَاسِقِينَ ﴾^(٢)،**

(١) رواه أحمد. وأبو داود في الزكاة، باب في صلة الرحم. من حديث عبد الله بن عمرو. وصححه الألباني.

(٢) سورة الزمر [٦٥] .

وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّهُ مِنْ بَشَرِكِ بِاللَّهِ فَكَفَرُوا بِاللَّهِ عَلَيْهِ الْجَنَّةُ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾^(١).

فالتوحيد أولاً، وقبل كل شيء . والمشرك لا يُقبل منه عمل أبداً، حتى يدع الشرك، ويعود إلى توحيد الله عزَّ وجلَّ .
اللهم لا تجعلنا في هذا الشهر الكريم من المحرومين، ولا عن بابك مطرودين،
اللهم اجعلنا في رمضان من الفائزين بجنتك جنات النعيم .

سؤال الحلقة

قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ)) .

١ ماصلي

٢ قيام ليلة

٣ أجره كاملاً

(١) سورة المائدة [٧٢] .

[٢٤]

﴿يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَالَةٌ﴾^(١).

شاهد

الحمد لله مغير الأحوال، ومكور الليل على النهار، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى صحبه والآل .

أما بعد: فيا أيها الإخوة! ما هي إلا أيام ويرحل عنا هذا الشهر الحبيب اسطمع الى محاضرة مشاعر مودع

واذكر لمن بان من خل ومن جار
على فراق ليال ذات أنوار
إلا لتمحيص آثام و أوزار
و اسمع غريب أحاديث و أخبار
منّا المصلي ومنّا القانت القاري

دم البكاء على الأطلال والدار
ذر الدموع نجيباً و ابك من أسف
على ليال لشهر الصوم ما جعلت
يا لآئمي في البكا زدني به كلفاً
ما كان أحسننا و الشمل مجتمع

الناس في مثل هذه الأيام أصناف؛ فصنف من خشية ربهم مشفقون! ﴿يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَالَةٌ﴾. رغم أنهم في نهاره صيام، وقراءة قرآن، وإطعام وإحسان، وفي ليله سجود، وركوع، وبكاء، وخشوع، وفي الغروب والأسحار تسبيح، وتهليل، وذكر، واستغفار...

(١) سورة المؤمنون [٦٠].

روحانية صائغ

رغم أنهم شمروا عن سواعد الجدِّ فاجتهدوا، واستغفروا وأنابوا ورجعوا، رغم أنهم ما تركوا باباً من أبواب الخيرِ إلا ولجوا...

ولكن مع ذلك كله، قلوبهم وجلَّةٌ خائفةٌ بعدَ رمضان، أقيلتُ أعمالهم أم لا؟ أكانت خالصةً لله أم لا؟ أكانت على الوجه الذي ينبغي أم لا؟

يعملون السنين، ويحملون هم القبول: **كان السلفُ الصالحُ - رضوانُ الله تعالى عليهم - يحملون همَّ قبولِ العملِ أكثرَ من همِّ القيامِ بالعملِ نفسه!**

قال عبدُ العزيز بن أبي رواد: **"أدرتُّهم يجتهدونَ في العملِ الصالحِ، فإذا فعلوا وقعَ عليهم الهمُّ أيقبلُ منهم أم لا؟"**

لا يغلونَ عن رمضان، فإذا فعلوا وانتهوا وقعَ عليهم الهمُّ أيقبلُ منهم أم لا؟

وقال عليٌّ رضي الله عنه: **"كونوا لقبولِ العملِ أشدَّ اهتماماً منكم بالعملِ، ألم تسمعوا لقولِ الحقِّ - عزَّ وجلَّ - : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾** (١).

وقال مالكُ بن دينار: **"الخوفُ على العملِ ألا يُتقبَّلَ اللهُ بهِ العملُ"**.

(١) سورة المائدة [٢٧].

وروي عن عليٍّ عليه السلام أنه كان يُنادي في آخرِ رمضان: "يا ليت شعري من هذا المقبولُ فنعته؟ ومنه هذا المردودُ فنعته؟". كما روي ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه أيضًا.


أيها المقبولُ هنيئًا لك! أيها المردودُ جبرَ اللهُ مصيبتَكَ!.

ليت شعري من فيه يُقبلُ منَّا فيهنّي.. يا خيبةَ المردودِ! من تولّى عنه بغيرِ قبولٍ أرغمَ اللهُ أنفه بخزيٍ شديدٍ .

يا ليت شعري - أيها الأحبة - من منا أشغله هذا الهاجس، هاجس هل قُبلت أعماله أم لا ؟ من منا يلهج لسانه بالدعاء أن يقبلَ اللهُ منه رمضان ؟



إننا نقرأ ونسمعُ أن سلفنا الصالح كانوا يدعونَ اللهُ ستةَ أشهرٍ أن يقبلَ اللهُ منهم رمضان، فهل ندعو نحن - أيضًا - أم لا ؟ .

ماذا استفدنا من رمضان ؟ وأين آثاره على نفوسنا وسلوكنا، وعلى أقواننا وأفعالنا؟  هكذا حالُ الصَّالحينَ والصَّالحات، والعاملينَ والعاملات، فهم في رمضان صيامٌ وقيامٌ، وتقلُّبٌ في أعمالِ البرِّ والإحسانِ.. وبعدَ رمضانِ محاسبةٌ للنفسِ، وتقديرٌ للربحِ والخسرانِ، وخوفٌ من عدمِ قبولِ الأعمالِ؛ فألسنتهم تلهجُ بالدعاءِ والإلحاحِ بأن يقبلَ اللهُ منهم رمضان، وأن يعفو عن تقصيرهم وغفلتهم فيه .

روحانية صائغ


أما الصنف الآخر فهم المفرطون - ونعوذُ بالله من حالهم - وهم نوعان:

النوع الأول: المقصرون في الطاعات والعبادات: أناس قصرُوا فلم يعملوا إلا القليل، نعم صلُّوا التراويحَ والقيامَ سِرَاعاً.. فهم لم يقوموا إلا القليل، ولم يقرؤوا من القرآن إلا القليل. ولم يقدِّموا من الصَّلواتِ إلا القليل.. الصَّلواتُ المفروضةُ تشكو من تخريقها ونقرها، والصيامُ يئنُّ من تجريحه وتضييعه.. والقرآنُ يشكو من هجره ونثره... والصدقةُ ربِّما يتبعها منٌ وأذى... الألسنُ يابسةٌ من ذكرِ الله... غافلةٌ عن الدُّعاءِ والاستغفارِ في أوقاتِ الاستجابة، فهم في صراعٍ مع الشَّهواتِ حتى في رمضان... لكنَّ فطرةَ الخيرِ تجذبُهُم، فتغلبُهُم تارةً ويغلبونها تاراتٍ! حتى الصَّلواتِ المكتوباتِ فحالهم معها مأساة؛ فصلاةُ الظُّهرِ لا تسألُ عنها! وربِّما صلاةُ العصر، بل وربِّما الفجر! كلُّ ذلك بسببِ التَّعبِ والإرهاقِ، والسهرِ واللعبِ كما يقولون .

فهؤلاء لم ينتبهوا إلا والحبیبُ يرحلُ عنهم، فتجرَّعوا مرارةَ الرِّحيلِ... بكاءً وندمًا... حزناً! ولكن متى؟ بعدَ فواتِ الأوانِ... بعد أن انقضت أفضلُ الأيامِ .

النوع الثاني من المفرطين هم الخاسرون، نعوذُ بالله من الخسران!. فهناك من لم يَقمَ رَمَضانَ.. ولم يقرأ القرآنَ.. وربِّما لم يصُمَّ في رمضان، فنهاره ليلٌ وليله ويل! لا الأواخرَ عرفوها، ولا ليلةَ القَدْرِ قدَّروها...

روحانية صائفة

فمتى يصلح من لا يصلح في رمضان ؟ متى يصحو من كان من داء
الجهالة والغفلة رمضان ؟  مَنْ فَرَطَ فِي الزَّرْعِ فِي وَقْتِ الْبَدَارِ، لَمْ يَحْصُدْ غَيْرَ
النَّدَمِ وَالْخَسَارِ.

مساكين هؤلاء، فاتهم رمضان وخير رمضان، وحلت عليهم الخيبة
والخسران! قلوبٌ حلت من التقوى فهي خرابٌ بلقع، لا صيامٌ ينفع، ولا قيامٌ يشفع .
قلوبٌ كالحجارة أو أشد قسوة، حالها في رمضان كحال أهل الشقوة، لا الشاب
منهم ينتهي عن الصبوة، ولا الشيخ ينزجر فيلحق بالصفوة .

أيها الخاسر! رحل رمضان وهو يشهد عليك بالخسران، فأصبح لك خصماً يوم
القيامة. رحل رمضان وهو يشهد عليك بهجر القرآن، فيا ويل من جعل خصمه القرآن
وشهر رمضان!!

فيا مَنْ فَرَطَ فِي عُمُرِهِ وَأَضَاعَهُ، كَيْفَ تَرْجُو الشَّفَاعَةَ؟ أَعْتَذِرُ بِرَحْمَةِ اللَّهِ؟
أَتَقُولُ لَنَا: إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ؟ نعم! لكن ﴿ **إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾^(١)،
العاملين للأسباب، الخائفين المشفقين .

سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - عَنْ رَجُلٍ يَمْشِي فِي النَّهَارِ، وَيَقُولُ اللَّيْلَ، لَأَيُّ شَيْءٍ
جُمِعَتْ وَلَا جَمَاعَةٌ قَالَ: ((هُوَ فِي النَّارِ))^(٢) .

(١) سورة الأعراف [٥٦] .

(٢) رواه الترمذي في الصلاة، باب ما جاء فيمن يسمع النداء فلا يجيب .

وعن أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ))^(١).

فِيهَا أَيُّهَا الْخَاسِرُ! نَعَمْ رَحَلَ رَمَضَانُ، وَرُبَّمَا خَسِرْتَ خَسَارَةً عَظِيمَةً، وَلَكِنْ - الْحَمْدُ لِلَّهِ - فَمَا زَالَ الْبَابُ مَفْتُوحًا، وَالْخَيْرُ مَفْسُوحًا، عَجَلَ قَبْلَ غُرُورَةِ الرُّوحِ، ابْكِ عَلَى نَفْسِكَ، أَكْثَرَ النَّوْحِ، اسْمَعْ لِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْجَمِيلَةَ لِابْنِ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - يَقُولُ: "فَاهِ النَّفْسَ كُلَّمَا وَسَّعَتْ عَلَيْهَا، ذَنِّقَتْ عَلَى الْقَلْبِ، حَتَّى تَصِيرَ مَعِيشَتُهُ ذَنِّقًا، وَكُلَّمَا ذَنِّقَتْ عَلَيْهَا وَسَّعَتْ عَلَى الْقَلْبِ، حَتَّى يَنْشَرِحَ وَيَنْفَسِحَ"^(٢). وَرَمَضَانُ يَشْهَدُ بِهَذَا، وَمَا كُنَّا نَشْعُرُ بِهِ مِنْ رِقَّةِ الْقَلْبِ وَاتِّصَالِهِ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

هُؤُلَاءِ هُمْ أَصْنَافُ النَّاسِ فِي آخِرِ رَمَضَانَ، فَاسْأَلْ نَفْسَكَ - أَخِي - مِنْ أَيِّ الْأَصْنَافِ أَنْتَ، رَاجِعْ نَفْسَكَ وَحَاسِبِهَا، أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَقْبَلَ مِنَّا أَجْمَعِينَ، وَأَنْ يَغْفِرَ لَنَا وَإِيَّاكُمْ، وَأَنْ يَجْعَلَ مِنَّا الْفَائِزِينَ الْمَوْفِقِينَ، وَأَنْ يَخْتَمَ لَنَا شَهْرَنَا بِالْقَبُولِ وَالْغُضْرَانِ، إِنَّهُ وَلِي ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ .

(١) جزء من حديث رواه الترمذي وأحمد، وصححه الألباني . وقد سبق تخريجه .

(٢) الفوائد لابن القيم، تخريج، أحمد راتب عرموش (٢١٩)، ط ٥، ١٤٠٤، دار النفائس، بيروت .

سؤال الحلقة

كان السلفُ الصالحُ -رضوانُ الله تعالى عليهم- يحملونَ همَّ أكثرَ من

همَّ القيامِ بالعمَلِ نفسِه

١ إحصانِ العملِ

٢ إحصانِ العملِ

٣ قبولِ العملِ

[٢٥]

الْفَائِزُونَ فِيهِ رَمَضَانَ

شاهد

بسم الله العلي الأعلى، والصلاة والسلام على رسولنا إمام الهدى، وعلى كل من به اقتدى .

أما بعد: هذه الأيام المباركة من رمضان نتفياً في ظلال الجنان، ونتقرب بأنواع الطاعات للرحمن؛ صلاة وقيام، وإطعام للطعام، وتذكير بأطيب الكلام، تدبر وترتيل، وأزيز وحنين، وصور مضيئة تشرح صدور المؤمنين، ومناظر خلافة تسر الناظرين .

من منا لا يفرح وهو يرى هذا الخير؟ ومن منا لا تقر عينه وهو يرى تسابق الناس على الخيرات، ومن منا لا يتفائل وهو يرى الحب والمودة والرحمة بين الناس هذه الأيام؟

وبعد أيام معدودة تُعلنُ النَّتَائِجُ .. وتُوزَعُ الجَوَائِزُ .. فيفرحُ الفائزونُ بِرَمَضَانَ (فلنستمع الى محاضرة الفائزون بـرمضان علنا نكون منهم بحول الله) سَبَقَ قَوْمٌ فَفَازُوا .. وَتَخَلَّفَ آخَرُونَ فَخَابُوا .

غَدَاً تُوفِّي النُّفُوسُ مَا كَسَبَتْ وَيَحْصُدُ الزَّارِعُونَ مَا زَرَعُوا

إِنْ أَحْسَنُوا فَقَدْ أَحْسَنُوا لِأَنْفُسِهِمْ وَإِنْ أَسَاءُوا فَبِئْسَ مَا صَنَعُوا

مَنْ هَذَا الْفَائِزُ مِنَّا فَهْنِيهِ؟ وَمَنْ هَذَا الْخَائِبُ فَنَعِزِّيهِ؟

روحانية صائغ

أيها الفائز بـرمضان هنيئاً لك.. أيها الخاسر جبر الله مصيبتك..
بعد أيام تعلن أسماء الفائزين بـرمضان في مصليات الأعياد، يوم يرجعون
إلى بيوتهم كيوم ولدتهم أمهاتهم **اللهم اجعلنا من الفائزين في رمضان.**
ولعلكم - أيها الأخيار- تتساءلون عن هؤلاء الفائزين بـرمضان، من هم؟ وما
صفتهم؟ وما أعمالهم؟

عالم الفائزين بـرمضان عالم الحب والإخاء عالم المجتهدين، والمتهجدين،
والمستغفرين.. عالم الرقة والخشوع، والدلة والخضوع.. عالم الحرص والاستزادة،
والتمرغ بأنواع العبادة، تالون لكتاب الله، راعون ساجدون.. متأثرون بأكون..
متصدقون منفقون.. متحدثون ناصحون.. عاملون مخلصون، وفي ذلك
فليتنافس المتنافسون.

من قال - أيها الأحبة- إن أعمال البر والخير وقف على السلف فقط؟؟
من قال إن المتصدقين هم - فقط- أبو بكر وعمر...، وعائشة وفاطمة...،
رضي الله عنهم أجمعين؟؟
من قال إن الرقة والبكاء حكر على بشر الحافي، والثوري، ومالك بن دينار،
ورابعة العدوية... رحمة الله عليهم أجمعين؟؟

روحانية صائغ

انظروا لبيوت الله هذه الأيام! صلاةً وقياماً.. ركوعاً وسجوداً.. إطعاماً للطعام.. بذلاً وإحساناً.. تذكيراً بأطيب الكلام.. تدبراً وترتيلاً، وأزيئاً وخنيناً..

فلا بد من ذكر الفضل لأهل الفضل والإحسان، لا بد أن نتلمس الخير في صفوف الناس، فيُنشر ويُشهر، لماذا ننسى خير الخيرين، وجهد العاملين، لماذا نغفل عن تضحية المصلحين، وصدق المخلصين ۹۹.

لماذا لا نذكر صلاح المؤمنات، وقيام القانتات، وصدق الصادقات، وصبر الصابرات ۹۹.

لماذا لا نتحدث عن عطاء المتصدقات، وعفاف الحافظات، ودعاء الذاكرات، وبكاء الخاشعات ۹۹.

لماذا ننسى الحديث عن هؤلاء وما أعد الله لهم من الأجر والثواب؟ وقد أعلن الرحيم الرحمن ذلك في القرآن، فقال عز وجل وهو الكريم المنان: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (۱).

نسأل الله - عز وجل - أن نكون جميعاً منهم .

صور الفائزين في رمضان كثيرة، نراها هنا وهناك .

منها صورة ذلك الرجل الكبير، كان يتكئ على عكازتين، ويدب على الأرض بمهل شديد.. يسحب قدميه فتخط في الأرض خطأ.. كان واضحاً أن المرض قد

(۱) سورة الأحزاب [۳۵] .

أنهك، وأنَّ التَّعبَ بَلَغَ مِنْهُ مَبْلَغَهُ.. ومعَ ذلكَ خَرَجَ، لماذا خَرَجَ؟ كلُّ ذلكَ مِنْ أَجْلِ
صلاةِ الجماعةِ، وَمِنْ أَجْلِ صلاةِ التَّراويحِ !.

ولا أنسى تلكَ العُجُوزَ مُحدِوِدِبةَ الظَّهْرِ.. مُتقارِبةَ الخُطى.. مُتسارِعةَ
الأنفاسِ، وهي تَرحفُ إلى المسجدِ زحفاً، والعَجبُ أنَّها صَلَّتْ واقفةً، رَفَضتِ
الجلوسَ !.

قلوبهم متعلِّقة بالمساجدِ، نحسبهم - بإذن الله - من السبعة الذين يُظِلُّهم
اللهُ في ظلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ: ((وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ))^(١).
صورةٌ أُخرى.. رجلٌ وَسِعَ اللهُ عليه بِمالِهِ، وحُسِنَ سَمَتِهِ، ودَمَّائِهِ خُلِقَ، فهو ينفقُ
إنفاقَ مَنْ لا يخشى الفقرَ...

دخلتُ الجامعَ فوجدتُ الموائدَ ممدودةً بالطولِ والعرضِ، بحثتُ عن صاحبي
فوجدته يصولُ ويجولُ.. لحظاتٌ قبلَ الغروبِ.. فإذا بمئاتِ الأخوةِ الوافدينِ
يتوافدون على الجامعِ من كلِّ صوبٍ.. ألفاً أو يزيدون! قلتُ: سبحانَ الله!.. في
الوقتِ الذي انشغلَ أهلُ الأموالِ ببيعهم وشرائهم، فعصرُ رمضانَ موسمٌ تجاريٌّ
لا يُعوِّضُ، أمَّا هذا الرَّجُلُ فهو في تجارةٍ أُخرى.. تجارةٍ معَ الله، فلم يكفِه أن يدفَع
المالَ لتفطيرِ الصائمينِ، بل وقفَ بنفسه وعَمَلِ بيده، ولم يعتذرَ يومَ أن دُعِيَ للإنفاقِ
في مشروعِ ثانٍ، بل وفي مشروعِ ثالثٍ، وربما في رابعٍ، وخامسٍ، وعاشرٍ، مما لا نعلمه
ولكنَّ الله يعلمه.

(١) جزء من حديث رواه البخاري في الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة. ومسلم في الزكاة، فضل إخفاء الصدقة .

صورة أخرى، رأينا وسَمِعنا حرص بعض النساء على الصدقة، ورمضان الخير يشهد للنساء بحسن السخاء، والبذل والعطاء. سمعت عن تلك التي جمعت رواتبها فتصدقت بها دفعة واحدة.. وسمعت عن تلك التي كفلت يتيمًا، وأعطت مسكينًا، وفطرت صائمًا، حتى قلت في نفسي: ماذا بقي لها؟ فأجابت بلسان حالها تقول: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا نَمْقُلُونَ﴾ (١).

صورة رابعة، ثلثة من الفتيات عرفت فيهن الخير كله.. الهاجس في نفوسهن إصلاح الأخريات ودعوتهن.. يسألن ويكثر عن الموضوعات والعناصر والمسائل الرمضانية المناسبة للطرح في مثل هذا الشهر.. يسألن ويالحاح عن المناسب من الأشرطة والرسائل للإهداء والتوزيع.. انتهت المكافأة الشهرية.. اقترضن حتى لا ينقطع هذا الخير...

يا سبحان الله! تركن اللباس و(المُوديلات)، وآخر الصيحات، وأدوات الزينة، لا لعدم الرغبة! فهي جبلة المرأة؛ بل لأن هم الإصلاح والغيرة على الدين كان أكبر، ولسان حالهن يقول: رمضان فرصة لا تُعوّض.

صورة أخرى.. إنها إحدى الأمهات! حريصة على صغارها، فهي معهم ترقبهم وتلاحظهم، تُعلم هذا، وتوجه ذلك.. ومع هذا فقلبها يهفو لصلاة التراويح مع المسلمين، لكن هياها هياها، فتصلي في بيتها.. تريد أن تخشع.. أن يرق قلبها.. أن تشعر بلذة المناجاة لربها، لكن الأصوات والضحكات، والتعلق بثوبها من صغارها، حرمها كل ذلك.. فما ملكت سوى الدمعات والعبرات على ليالي رمضان..

(١) سورة القصص [٦٠].

في العشر الأواخر، في آخر الليل جهزت سحورها، ورثبت أمورها، ثم توضأت وتلحفت بجلبابها، ثم سارت في ظلمة الليل إلى مسجد حياها .. ركعت وسجدت، وقامت فبكت وخشعت، وربما تذكرت صغارها، فخافت عليهم ووجلت، فلا تدري أقلبها لصلاتها أو على صغارها، فرجعت وصلت في بيتها بجوار صغارها؟ وهي تسمع صوت الإمام يردد: **(أَهْلِكَ يُسَارِعُونَ فِيهِ الْبَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ)** ^(١). فانخرطت في البكاء أن لو كانت من السابقين ..

فتمنيت أن أهمس لها بالحديث المتفق عليه: ((مَنْ ابْتَلِيَ مِنَ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ، فَأَخْسَنَ إِلَيْهِنَّ، كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ)) ^(٢).

صورة أخرى، دعاة يصولون ويجولون من حي إلى حي، ومن مسجد إلى مسجد؛ لإرشاد الناس وتذكيرهم، حرموا أنفسهم لذة العبادة خلف إمام واحد.. تذهب أنفسهم حشرات لختم القرآن مرات ومرات، لكن هيهات هيهات، فالوقت يصرف في البحث والاطلاع في تفسير آية أو شرح حديث أو بحث مسألة، فلسان حالهم يقول: **رمضان فرصة للتوبة، وموسم للإقبال على الله، والندم على مافات** 🐦 فكم من ضال فرح بكلمته؟ وكم من جاهل اهتدى بعبارته؟ وكم من تائب نور الله به بصيرته؟!

شباب قاموا على تفضير العمالة في مساجدهم.. حرموا أنفسهم فرحة الإفطار مع أهلهم وأزواجهم.. ضاعت اللغات، وتلاشت الجنسيات... لا كفيل ولا

(١) سورة المؤمنون [٦١].

(٢) رواه البخاري في الزكاة، باب اتقوا النار. ومسلم -واللفظ له- في البر والصلة، باب فضل الإحسان إلى البنات.

مكفول، ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾^(١) إِخْوَةٌ فِي تَوَادُّهِمْ، إِخْوَةٌ فِي تَرَاحِمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ...
وَآخَرُونَ حَمَلُوا الطَّعَامَ وَالْأَرْزَاقَ، وَقَطَعُوا الْفِيَائِ فِي الْمَسَافَاتِ، وَهُمْ صِيَامٌ تَحْتَ حَرَارَةِ
الشَّمْسِ الْمَحْرِقَةِ، وَالرَّمَالَ الْمَلْتَهَبَةِ، لِيَقْضُوا مَعَ الْمُحْتَاجِينَ وَالْمَسَاكِينَ وَالْأَرَامِلَ
وَالْيَتَامَى .. وَيُطْعَمُوا الطَّعَامَ، وَيُلْبَسُوا اللَّبَاسَ .. مَعَ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ.

أَمَّا حُرَاسُ الْفَضِيلَةِ وَأَعْدَاءُ الرَّذِيلَةِ .. رِجَالُ الْحَسْبَةِ، الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ،
وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَحَدَّثُوا وَلَا حَرَجَ .. فَنَحْنُ فِي صَلَاةٍ وَقِيَامٍ وَتَدَبُّرٍ لِلْقُرْآنِ، أَمَّا هُمْ
فَفِي أَعْظَمِ الْأَيَّامِ فِي انْكَارِ تَبْرُجٍ وَسُفُورٍ، وَمُشْكَلاتٍ وَمَعَاكَسَاتٍ، وَمُنْكَرَاتٍ وَسَيِّئَاتٍ ..
وَكَأَنِّي بِهِمْ وَالْأَلَمِ يَعْصِرُ قُلُوبَهُمْ عَلَى لِيَالِي رَمَضَانَ، وَلَكِنْ أَبَشِّرُ - أَيُّهَا الْأَخ
الْحَبِيبُ - فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ عَظِيمٍ .

إِنْ لَمْ تَكُنْ لِلْحَقِّ أَنْتَ فَمَنْ يَكُونُ؟! وَالنَّاسُ فِي مِحْرَابِ لِنَاتِ الدُّنْيَا عَاكِفُونَ.

وهكذا صور الفائزين، وهناك صور وصور لا نعلم عنها، ولكن الله يعلمها، أبواب
الخير كثيرة، فله در هؤلاء، وإن لم يكن أمثال هؤلاء من الفائزين بـرمضان فمن؟
ذلك الذي لا يفكر إلا في نفسه أو وظيفته أو ماله؟ ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا بِسَارِعِهِمْ فِيهِ الْفِتْرَاتِ
وَيَذْفَعُونَهَا رِغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾^(٢)

نسأل الله أن نكون جميعاً منهم وأن يجعلنا وإياكم وكل مستمع من
الفائزين في رمضان .

(١) سورة الحجرات [١٠]

(٢) سورة الأنبياء [٩٠]

سؤال الحلقة

في الحديث الممتفق عليه: ((مَنْ ابْتُلِيَ مِنَ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ، فَ.....، كُنَّ لَهُ
سِتْرًا مِنَ النَّارِ)).

١ أحسن إليهن

٢ أدبهن

٣ علمهن

[٢٦]

ميلاد محمد

شاهد

الحمد لله سهّل للعباد ويسّر، وشرع مواسم، وهياً مناسبات ينيب فيها العبد إلى ربه، ويغسل قلبه من دنس الذنوب ويتطهر. والصلاة والسلام على خير خلق الله، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً .

وبعد: عباد الله! في مثل هذه المواسم خيرات وخيرات، فكم من قلب اهتدى، وكم من نفس تابت ورجعت، وكم هي مناسبة جميلة، وفرصة كبيرة أن نجعل نهاية رمضان نقطة تحول في حياتنا، خاصة أولئك الذين زرعوها فحصدوا، واجتهدوا فكسبوا، وحديثي اليوم لمن ولدوا في رمضان هذا العام! فالإنسان قد يولد مرتين .

أما الميлад الأول فهو يوم يخرج من ظلمات الرحم إلى نور الدنيا، وهذا ميلاد يشترك فيه كل الناس، الأبرار والفجار، والمسلمون والكفار .

أما الميлад الثاني فهو يوم يخرج من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة، وهذا ميلاد خاص بمن وفقه الله لطريق الهداية، ومسلك الاستقامة؛ ﴿ **أَوْهَنَ كَانَ مِينَا فَأَمِينَنَا** وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾^(١) .


وفي رمضان هذا العام ولد أناس، رأيت بعضهم وعلى وجوههم علامات الفرح والسرور، وسمعت لبعضهم وكلمات السعادة والأنس تتسابق على ألسنتهم، ذاقوا

(١) سورة الأنعام [١٢٢] .

روحانية صائمه

حلاوة الإيمان، في أيام رمضان، وبعد أن تجرعوا مرارة البعد والحرمان، شعروا بالأمان والحنان، مشاعرهم جياشة، عباراتهم صادقة، دموعهم حارة، وجدوا للطاعة حلاوة، وللعبادة لذة، عرفوا طعم الحياة، وذاقوا طعم السعادة الحقيقية .

ليس بِدَرِيهِ طَبِيبٌ	فِي صِيَامِ الشَّهْرِ طَبٌّ
صَائِمٌ حَقًّا ... أَرِيبٌ	فِيهِ أَسْرَارٌ بَعِيهَا
تَرْتَوِي فِيهِ الْقُلُوبُ	فِيهِ غَيْبٌ مِنْ صَفَاءِ
دُونِهِ الْكُونُ الرَّحِيبُ	فِيهِ لِلْأُرُومِ شَبَعٌ
تَنْجَلِي عَنْهُ الْكَرُوبُ	صَائِمٌ فِي دِرْعِ تَقْوَى

فما أجمل حياة التائبين! وما أحلاها! وما أروع عيش المحبين لله! وما أهنا! قلوبهم بين يدي الله منكسرة، عيونهم من خشيته باكية مستعبرة  ألسنتهم لله ذاكرة مستغفرة، إلا أنك تنظر للخوف في أعينهم، سرعان ما تفصح عن سره ألسنتهم، بكثرة أسئلتهم: كيف نحافظ على هذا الإيمان؟! كيف نحافظ على هذه الحلاوة؟! فإننا نخشى من الذنوب والعصيان، وشياطين الإنس والجان، فكيف نستمر على الإيمان؟! وهكذا الكثير من التائبين والتائبات، يسألون عن وسائل الثبات وبإلحاح، ويخافون العودة لطريق الشتات والغفلات!.

فما أحوجنا اليوم لوسائل الثبات (نعرف أكثر على هذه الوسائل بالإستماع الى محاضرة **النبأ بعد رمضان**) بل إن الصالحين والصالحات هم أحوج ما يكونون لتدبر النفس ومراجعة الذات، وأوصيهم ونفسي الضعيفة بالحنذر من الغرور والغفلات، مهما بلغوا من الدرجات؛ فهذا رسول الله ﷺ يَقُولُ: ((مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا وَهُوَ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ

روحانية صائمه

إِذَا مَا الْحَلِّ، وَأَيْنَ الطَّرِيقِ؟ فَجَاءَ الْجَوَابُ: ((وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِنِ الْأُمُورِ! فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ؛ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ))^(١).

فَاللَّهُ اللَّهُ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَمَا عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَسَلَفُ الْأُمَّةِ، وَالْعَضُّ عَلَى ذَلِكَ بِالنَّوَاجِدِ، حَتَّى الْمَمَاتِ .

ثَالِثًا: الْإِعْتِصَامُ بِاللَّهِ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَعْتَمِدَ عَلَى نَفْسِكَ الضَّعِيفَةِ مَهْمَا كَانَتْ،

﴿ هَوَافِلُ الْإِنْسَانِ ضَعِيفًا ﴾^(٢). وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ لَهُ إِلَّا بِرَبِّهِ، أَلَسْتَ تَقْرَأُ فِي الْقُرْآنِ ﴿ وَمَنْ يَمْتَصِمْ بِاللَّهِ فَكُلُّ هَدْيٍ إِلَيْهِ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٌ ﴾^(٣)، فَاعْتَصِمْ بِرَبِّكَ، وَأَعْلِنِ الضَّعْفَ وَالْإِفْتِقَارَ، وَأَكْثِرْ مِنَ الدُّعَاءِ وَالْإِنكسَارِ، لِلْعَزِيزِ الْغَفَّارِ، غَافِرِ الذَّنْبِ، وَقَابِلِ التَّوْبِ، فَلَا عَاصِمَ لَكَ مِنَ الْفِتَنِ إِلَّا هُوَ، وَلَا مَعِينَ وَلَا مُنْجِيَ لَكَ فِي زَمَنِ الشَّهَوَاتِ إِلَّا هُوَ، لَقَدْ كَانَ الْمُصْطَفَى ﷺ يَكْثُرُ فِي سَجُودِهِ مِنْ قَوْلِهِ: ((يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ! ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ))^(٤). وَكَرَّرَ كُلَّ وَقْتٍ: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾^(٥).

رَابِعًا: مِنْ وَسَائِلِ الثَّبَاتِ بَعْدَ رَمَضَانَ: الْعِلْمُ، وَأَعْنِي بِهِ الْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ، وَهُوَ أَفْضَلُ وَسِيلَةٍ لِلثَّبَاتِ، فَالْعِلْمُ نُورٌ يَضِيءُ طَرِيقَ صَاحِبِهِ، وَكَلِمَا قَوِي الْعِلْمِ النَّافِعُ قَوِي سِيرِ الْعَبْدِ إِلَى اللَّهِ بِثَبَاتٍ وَوُضُوحٍ دُونَ حَيْرَةٍ وَتَرَدُّدٍ .

(١) رواه أحمد. والترمذي في العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة . وابن ماجه في المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء . وصححه الألباني .

(٢) سورة النساء [٢٨] .

(٣) سورة آل عمران [١٠١] .

(٤) رواه أحمد. والترمذي في جامع الدعوات، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (ح٢٧٩٢).

(٥) سورة آل عمران [٨] .

فيا أيها الصالحون..! أيها المهتدون..! تعلموا العلم الشرعي، فهو سلاح بيد صاحبه، وعلو في الدنيا والآخرة .

أيها الشَّاكُونَ..! أيها الموسوسون..! أيها المترددون..! لا علاج لكم إلا بالعلم النافع، فبه يُدفع الشك والتردد، وبه يُدفع الشيطان، وبه تقوى العقيدة ويقوى الإيمان، فتعلموا العلم، واصبروا، وابدوا الله على بصيرة تفلحوا .

خامساً: اعلم - أخي - أن التغيير يبدأ من الداخل، فالله - تعالى - يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١)، فلا بد أن تكون التوبة عن قناعة ورضا، وليس عن حماس وعاطفة؛ قال الحبيب - عليه الصلاة والسلام - : ((ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا))^(٢).

سادساً: املاً قلبك بخوف الله، واغرس في نفسك رقابة الله، فحياة القلوب وأنس النفوس بخوف الله، ﴿وَتَرَوْهَا فَإِنَّ قِيَرَ الرَّاحِ النَّفْوَةَ﴾^(٣).

أخي! اعلم بأن الله يراك، وخف من الله، ولا تخف من الناس؛ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَمَ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ [] فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾^(٤).

سابعاً: التمسك، والعض بالنواجذ على الصاحب الصالح، تأمل هذه الآية في الصحبة والمصاحبة: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مِنَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْفُتَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ

(١) سورة الرعد [١١] .

(٢) رواه مسلم في الإيمان، باب الدليل على أن من رضي بالله رباً... فهو مؤمن وإن ارتكب المعاصي الكبائر.

(٣) سورة البقرة [١٩٧] .

(٤) سورة النازعات [٤٠-٤١] .

وَجَهَّهُ وَلَا نَمُدُّ فَيْتَاكَ عَنْهُمْ نُزِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا نُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَانْبَغِ هَوَاهُ
وَكَانَ أَهْرَهُ فُرُطًا ﴿١﴾ .

وَلَا تَصْحَبِ الْأَرْدِي فَتَرْدِي مَعَ الرَّدِّي فَكَمْ مِنْ قَرِينٍ بِالْمَقَارَنِ يَقْتَدِي
ثَامِنًا: عليك بمجاهدة النفس، فإن الله - تعالى - يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا
فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (٢) فَإِنِ أَرَدْتَ الْهَدَايَةَ بِحَقِّ، فَلَا بَدَّ مِنَ الصَّبْرِ وَالتَّحْمَلِ، وَفِي
الْحَدِيثِ: ((وَمَنْ بَصُرَ بِصَبْرِهِ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ)) (٣)، قَل
لِنَفْسِكَ مَعَاتِبًا:

ذُرِينِي أَنْلَ مَا لَا يِنَالُ مِنَ الْعَلَا فَالصَّعْبُ فِي الصَّعْبِ وَالسَّهْلُ فِي السَّهْلِ
تُرِيدِينَ إِدْرَاكَ الْمَعَالِي رَخِيصَةً وَلَا بَدَّ دُونَ الشَّهَدِ مِنْ إِبْرِ النَّحْلِ
فَلَا بَدَّ مِنَ الْمَرَارَةِ، وَلَا بَدَّ مِنْ إِبْرِ النَّحْلِ، فَلَا يَخْلُو الطَّرِيقُ مِنْ عَقَبَاتٍ، وَفَتَنٍ
وَشَهَوَاتٍ، فَاصْبِرْ إِنَّمَا هِيَ أَيَّامٌ وَلِحِظَاتٍ، حَتَّى يَقَالَ فَلَانِ مَاتَ، ثُمَّ هِيَ جَنَاتٌ عَرْضُهَا
كَعَرْضِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ .
اللَّهُمَّ يَا مُصْرِفَ الْقُلُوبِ! صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ
الثَّبَاتَ عَلَى دِينِكَ حَتَّى الْمَمَاتِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

(١) سورة الكهف [٢٨] .

(٢) سورة العنكبوت [٦٩] .

(٣) جزء من حديث رواه البخاري في الزكاة، باب الاستغفار عن المسألة. ومسلم -واللفظ له- في الزكاة، باب فضل
التعفف والصبر .

سؤال الحلقة

قال رسول الله ﷺ: ((مَا مِنْ إِلَّا وَهُوَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، إِنْ شَاءَ أَنْ يُقِيمَهُ أَقَامَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَنْ يُزِيغَهُ أَزَاغَهُ)).

١ قلب

٢ عمل

٣ عبد

[٢٥]

وسائل الثبات على دين الله

شاهد

الحمد لله رب العلمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد: فقد تحدثنا في الحلقة السابقة عن ميلاد جديد، وذكرنا فيها بعض وسائل الثبات على الخير والاستقامة، والاستمرار على العمل الصالح الذي ذقناه في مثل هذه الأيام، ومما ذكرنا من وسائل الثبات: الإخلاص في التوبة، ووضوح المنهج، والاعتصام بالله، والعلم الشرعي، والاستقامة عن قناعة ورضا، وغرس خوف الله في القلب، وملازمة الصالحين، ومجاهدة النفس، ونكمل اليوم حديثنا عن بقية وسائل الثبات:

تاسعاً: لا أعلم وسيلة للثبات أعظم من قراءة القرآن، نص الله على أن وظيفة هذا الكتاب والغاية التي من أجلها أنزله منجماً مفصلاً هي التثبيت، فقال تعالى في معرض الرد على شبه الكفار: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾^(١).

وهو شفاء للهموم والغموم، ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾^(٢)، فأكثر من قراءة القرآن، وانظر وتدبر الآيات، أأنت تريد

(١) سورة الفرقان [٣٢-٣٣] .

(٢) سورة الإسراء [٨٢] .

روحانية صائغ

الهداية؛ ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِينَ هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَثِيرًا ﴾، فعليك بالقرآن وتدبره، وكثرة مجالسة أهله، وحفظه ومدارسته
 عاشراً: عليك بكثرة ذكر الله، فهو من أعظم أسباب التثبيت، وقد أمر الله به
 المؤمنين في أحلك الظروف فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِينُمْ فِتْنَةً فَاتَّبِعُوا مَا نَزَّلْنَا بِهَذَا الْقُرْآنِ مِنَ الْأَنْبَاءِ نَحْنُ اللَّهُ وَنَحْنُ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾^(١)، فجعله الله من أعظم ما يعين على الثبات في الجهاد.
 وأنت في جهاد مستمر مع نفسك، فلا يفتر لسانك من ذكر الله، ولا يغفل قلبك
 عن سماع الذكر، وحضور مجالس الذكر، فكثرة الذكر مطر القلوب، فإياك أن
 يجف قلبك فيقسو ويظلم. ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَفْشَوْا قُلُوبَهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾^(٢)، فألن
 قلبك بكثرة ذكر الله، تجد لذة وانسراحاً وعجباً .

الحادي عشر: إن المحافظه على الفرائض هي أقرب وأوضح طريق للهداية، قول
 الله - تعالى - في الحديث القدسي: ((وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا
 افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ))، فحافظ على الفرائض أولاً، ثم إن أردت أن يحبك الله، فالأمر
 سهل وميسور، فاسمع لله - تعالى - يقول: ((وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ
 حَتَّىٰ أَحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي
 يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ))^(٣).

ما أيسر الأمر أخي! إذا أكثر من النوافل، وداوم عليها؛ فإن من علامات
 القبول الاستمرار والمداومة، فقليل دائم خير من كثير منقطع، وثبت عنه ﷺ من

(١) سورة الأنفال [٨٥] .

(٢) سورة الحديد [١٦] .

(٣) أخرجه البخاري في الرقاق، باب التواضع .

حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((وَأَعْلَمُوا أَنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ))^(١). وكان هديه ﷺ المداومة على العمل، وكان ﷺ إذا عمل عملاً أثبتته، وحين سُئِلَتْ عائشة - رضي الله عنها - عن عمله ﷺ؟ قَالَتْ: ((كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً))^(٢).

والعمل الذي يداوم عليه صاحبه، مع أنه أحب إلى الله - تعالى - وأنه هدي النبي ﷺ؛ ففيه أيضاً ما أخبر عنه ﷺ بقوله: ((إِذَا مَرَضَ الْعَبْدُ، أَوْ سَافَرَ، كُنِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مَقِيماً صَاحِباً))^(٣).

وتأمل قول الله - تعالى - : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ قُبْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيهاً ﴾^(٤)، أي على الحق. وهذا بيّن، وإلا فهل نتوقع ثباتاً من الكسالى القاعدين عن الأعمال الصالحة، التاركين للنوافل، إذا أطلت الفتنة برأسها وادلهم الخطب تركوا الخير واشتغلوا بالفتنة والقييل والقال، فلا نتعجب - إذاً - انتكاستهم عن الصلاح والاستقامة .

الثاني عشر: القراءة والنظر في السير والتراجم، من أفضل الوسائل لإشعال العزائم، فاقراً مثلاً في سير وقصص الأنبياء، واستلهم منها الدروس والعبر، فالله - تعالى - يقول: ﴿ وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِيهِ فَهْوَةٌ الْحَقِّ وَهُوَ عِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٥).

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في الرقاق، باب القصد والمداومة . ومسلم في صفة القيامة، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله .

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري في الصوم، باب هل يخص شيئاً من الأيام. ومسلم في صلاة المسافرين، باب فضيلة العمل الدائم .

(٣) أخرجه البخاري في الجهاد والسير، باب يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة .

(٤) سورة النساء [٦٦].

(٥) سورة هود [١٢٠].

الثالث عشر: **اهجر مكان المعصية، ووسائلها، وأهلها، وكل ما يذكرك بها،** أما أن يُعْرَضَ المسلم نفسه لوسائل الفساد، ومواطن الشهوات وإثارة الغرائز، وفتح باب التخيّل والتذكّر، حتى إذا وقع أخذ ينوح ويبكي ويلوم نفسه وهو ما زال على أرض الخطيئة لم يهجرها، فعلى هذا وأمثاله أن يتهم توبته، ويراجع نفسه قبل فوات الأوان، واعلم أن لكل معصية أسبابا ودوافع وعلاجا وموانع، ففكر وتأمل، لتصل للحل 🐦، وتبقى العزيمة والإصرار، والهمة العالية هي المفتاح بعد توفيق الله .

الرابع عشر: **من وسائل الثبات على الاستقامة، هو ترك العجب والغرور، إياك والعجب والإدلال، فالله - تعالى - يقول: ﴿وَلَا تَفْنُنْ نَسَاكُثْرًا﴾^(١)، فكم من نفس مريضة تقول: لقد صمت رمضان، فغُضِرَ ما تقدم من الذنوب، وقمت ليالي رمضان فغضِرَ ما تقدم من الذنوب، وختمت القرآن، وتصدقت، ودعوت، فلا يزال الشيطان ونفسه الضعيفة يُغرران به حتى يفتح على نفسه باب العجب والإدلال والغرور، والذي هو أشنع من المعاصي والذنوب، أما الصادقون ف﴿يُؤْتُونَ مَا أَنَا وَحَقُّهُمُ وَحِيلَةٌ﴾^(٢)؛ فعن عائشة - رضي الله عنهما - قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ آيَةِ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا أَنَا وَحَقُّهُمُ وَحِيلَةٌ﴾ أَلَمْ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: ((لَأَ، يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ! وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ، وَيُطْلُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، وَلَمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يَقْبَلَ مِنْهُمْ، أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ))^(٣).**

(١) سورة المدثر [٦].

(٢) سورة المنون [٦٠].

(٣) رواه أحمد. والترمذي في تفسير سورة المؤمنون. وابن ماجه في الزهد، باب التوقي على العمل. وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

إخوة الإيمان! إن أعظم ما أهلك البعض منا: إعجابنا بأعمالنا وأنفسنا،
وتعليل النفس بأنها أحسن من غيرها، وأن غيرها فيه وفيه، وهذا عجب وكبر، وهو
محبط للعمل، فاتهم نفسك على الدوام، وتواضع وانكسر لله، فإن الله عند
المنكسرة قلوبهم، وهكذا كان سلفنا الصالح، علم وعمل وعبادة، ومع ذلك خوف
وتواضع واتهام للنفس .

قال أيوب السخثياني: " إذا ذكر الصالحون كنت منهم بمعزل " .

وقال الثوري: " ضاعت الأمة حية احتبها إلي " .

والشافعي يقول:

أحب الصالحين ولست منهم لعلي أن أنال بهم شفاعته
وأكره من بضاعته المعاصي وإن كنا سواءً في البضاعة

ويثني رجل على الإمام أحمد بن حنبل فيقول: جزاك الله عن الإسلام خيلاً؟! فيبكي

أحمد ويقول: مه أنا؟ وما أنا؟! جزى الله الإسلام عني خيلاً .

وشيخ الإسلام ابن تيمية يردد ويقول:

أنا الفقير إلى رب البريات أنا المسيكين في مجموع حالاتي
أنا الظلوم لنفسي وهي ظالمتي والخير إن يأتنا من عنده ياتي

هكذا كانوا - رحمة الله تعالى عليهم - مع أنفسهم، فكيف حالنا مع

أنفسنا؟! فلنحاسب - معاشر المؤمنين - أنفسنا، ولنحرص على تربيتها،


والزامها طريق الاستقامة، فمهما اجتهد العبد في أداء العبادة فلن يوفيهها حقها؛

لذلك جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: ((لَنْ يَنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ، قَالُوا: وَلَا

روحانية صائمه

أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَّخِمَدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ. سَدُّوْا، وَقَارِبُوا، وَأَعْدُوا،
وَرَوْحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدَّلْجَةِ، وَالْقَصْدِ، الْقَصْدِ، تَبَلَّغُوا))^(١).

فجاهدوا أنفسكم، وسددوا وقاربوا، وتأملوا تلك الوسائل المتقدمة، والموفق
من وفقه الله .

وبعد نهاية رمضان نقول: هنيئاً لمن قدم خيراً، وتقبل الله منا ومنك،
واحمد الله، وواصل أعمال الخير، فإنك لا تدري متى تموت؟ والأعمال
بالخواتيم  ﴿وَأَعْبُدُوا رَبَّكُمُ اللَّاهِبَ الْيَقِينُ﴾^(٢).

ومن فرط في تلك الأيام، وضع تلك الفضائل، فليستغفر الله، ولينتبه
لنفسه، ويحفظ بقية عمره .

وابكِ على نفسك - أيها الأخ - وحاسبها، وقل لها: يا نفس! ضيعتِ أعزَّ
الأشياء، وأنفسها عند العقلاء!.

نسأل الله تعالى أن يغفر لنا ولإخواننا أجمعين، وأن يتقبل منا هذا الشهر
الكريم.

(١) أخرجه البخاري في الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل. ومسلم في صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله
(٢) سورة الحجر [٩٩] .

سؤال الحلقة

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ)):

١ كثر

٢ قل

٣ حسن

(٢٨)

مشاعر مؤبدع رمضان

شاهد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه
وبعد: اليوم أو غداً تُطوى صحائف رمضان وفيها أعمال العباد، ولا تنشر
الحساب إلا يوم المعاد، بالأمس القريب كنا ننتظر هلال رمضان، واليوم لم يبق
منه إلا ساعات، فحق لرمضان أن يبكي له، ويبكي عليه، فيالوعة الخاشعين على
فقدانه، ويا حرقة المتقين على ذهابه



وانساق يقطر من همّ به كانا
وحول النبض في الأحشاء بركانا
ما بالأمس اليوم تبدو فينا حيرانا؟
على الذبول ومشدوداً به الآننا
فقد تحولت الألمان أشجاننا
واليوم أقطر من تفريق لقياننا
واليوم تبدي لي البسمات عصياننا

الدمع سال على الخدين هـتانا
وأعلن القلب في الساعات مأنمه
حملتُ دمعِي على كفي أسائله
مالي أراك كئيب الوجه منطويًا
أجابني الدمعُ والأحزانُ تعصفه
بالأمس أقطر من عين اللقا فرحًا
بالأمس كنتُ أحيي الشهرَ مبتسمًا

روحانية صائغ

معاشر الصائمين والقائمين! بل معاشر المحبين! هذه الأيام أيام وداع، وداع حبيب القلوب، وما أقسى لحظات الوداع بين المحبين! وهل يستطيع الحبيب فراق الحبيب بدون دموع وأحزان، وآهات وأشجان!؟.

وداعاً لشهر الخيرات والبركات، شهر إقالة العثرات، شهر الجود والصدقات، شهر الخشوع والعبرات .

وداعاً يا رمضان ! يا شهر التوبة والغفران !.

وداعاً يا رمضان ! يا شهر البذل والإحسان!.

وداعاً يا رمضان ! يا شهر الذكر والقرآن !.

وداعاً أيها الحبيب! فقد علمتنا كيف تكون ليالي المحبين، وكيف يحلو السهر بالمناجاة والأنين .

وداعاً أيها الحبيب! ما أصعب الفراق بعد التلاق! كيف وقد وجدنا فيك حلاوة الإيمان، ورقة القلب وعفة اللسان، لقد رددت إلينا أرواحنا، بعد أن ذقنا مرارة البعد والحرمان، لقد غسلت الأدران، وطهرتنا من الذنوب والعصيان .

وداعاً يا خير أنيس لكل جليس! لقد كنت روضة للأخيار، ونزهة للأبرار.

لا تعذل المشتاق في أشواقه حتى يكون حشاك في أحشائه

أيها العاذلون! رفقاً بنا، فقلوبنا لشهرنا تحن، ومن ألم فراقه تئن .

روحانية صائمه

رمضان! أيها الحبيب! ترفق، دموع المحبين تدفق، قلوبهم من ألم الفراق

تشقق ❦ وكيف لا تشقق وقد كنا بين تلاوة القرآن، ومناجاة الرحمن؟! كنا نعطف على الأرملة والمسكين، ونتبع أحوال اليتامى والمحتاجين، كنا نجتمع كل غروب مع الأبوين والأولاد، وهجرنا المعاصي ووسائل الفساد، كنا نسمع في لياليه أنين المذنبين، وعبرات الخاشعين، اسألوا التائبين النادمين عن ليالي رمضان، اسألوا المعتكفين عن لحظات الوداع .

لمن كان القبولُ لهم نصيباً
لمن يمحو برحمته الذنوباً
وهل لي إلى يوم الوصال رجوع
وهل لبُدورٍ إذا أفلتَ طُلوع

مضى شهر الصيام، فألفُ بُشْرِي
ومَنْ شَدُّوا مآزِرهم خَشُوعاً
ألا هل لها يوماً من الدهر عودة
وهل بعد إعراض الحبيب تواصلٌ

هذا مودع لرمضان، ذاق طعمه، وعرف حلاوته، وها هو يتألم، ويتحسر على فراقه، فيقول: في الأيام الأخيرة من رمضان شعرت بتسارع الأنفاس، وكثرة الهاجس والوسواس، أتمنى أن أمسك الشمس فلا تغرب، لا أصدق أن رمضان سيرحل بعد أيام، لقد ذقت حلاوة الصيام، ولذة القيام، لقد وقفت مع الصالحين، وركعت مع الراكعين، وسجدت مع الساجدين، بالأمس كنت أذرف دموع الفرح لاستقباله، واليوم تسيل دموع الحزن لرحيل هلاله ❦

آه لرمضان! فقد هيّم نفسي، وتيم قلبي، تلاقينا وكأنها لحظات، وتناجينا وكأنها همسات فمن منا لا تؤلمه ساعات الفراق؟ ومن منا يحتمل لحظات العناق؟

روحانية صائغ

رمضان! أيها الحبيب! ترفق، دموع المحبين تدفق، قلوبهم من ألم الفراق

تشقق

رمضان! أطفئت أنوار المساجد . (تعالوا نستمع لمخاضة وانطفأ السراج)

رمضان! هل أنا مقبول أم مطرود؟ وهل تعود أيامك أو لا تعود؟ وإن عادت

هل أنا في الوجود أم في اللحد ؟

سأعلن الأحزان، وأبث الأشجان، وسأرسل العبرات، والزفرات، والآهات، فريما

هذه آخر ليلة منك يا رمضان! ولا أدري أنا رابع فيك أم خاسر

لمن كان القبولُ لهم نصيباً	مضى شهر الصيام، فألفَ بشري
وأورثَ النفسَ ألاماً وأحزاناً	يا رب إن فراق الخـل عذبني
يقول: ويحك قد تلقاه عمياناً	وأذهب العين حتى صار ناظرها
يبقى وتبقى معافي القلب سناناً	ألقاه أعمى ولكن لا يفارقني
يقرب الطرف بين الناس حيراناً	يارب ردّ غريباً في ظل وجهته
قد جرب الحزن أشكلاً وألواناً	بييت يبكي ويصحو باكياً أبداً

أيها الإخوة والأخوات! هكذا نحيا رمضان، عندما نفهم حقيقة الصيام،

ونشعر بحلاوة الإيمان، هذه الأحاسيس الجميلة، والمشاعر النبيلة، والروحانية

الندية ما هي - إن شاء الله- إلا عاجل بشري المؤمن، أما الحلاوة الحقيقية

روحانية صائمه

فيكفي قول الحق - عز وجل - ﴿فَلَا تَقْلُمُ نَفْسٌ مَّا أَوْفَىٰ لَهُمْ مِنْ قَرَقَرٍ أَلَمِ يَجْرَاءُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(١).

نعم إخوة الإيمان! انتهى رمضان، وطويت السجلات، هنيئاً لكم بالصيام والقيام وتلاوة القرآن، هنيئاً لكم يا من ملثتم شهركم بالصالحات، وجاهدتم أنفسكم على ترك المعاصي والسيئات، وصبرتم عن الشهوات، فيا هنيئاً للفائزين 🐦 يا سعادة القائمين الراكعين! ويا حسرة المفرطين! يا حسرة الغافلات المضيعات أفضل الأوقات! في الأسواق والجلسات، فانتبهوا واستيقظوا قبل موعد الحسرات في العرصات، ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَهُ لِمَ مَا فَرَطْتَهُ فِيهِ جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُمْ لَمِنَ السَّافِرِينَ﴾^(١).

أيها المحبون! ودعوا حبيبكم بكثرة الاستغفار من التقصير، كتب عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - لولاته في الأصرار، يأمرهم بعد رمضان بالاستغفار .

ويروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: "الغيبة تخرق الصيام، والاستغفار يرقعه، فمه استنطاع منكم أن يجيء بصوم مرقع فليفعل"^(٢).

(١) سورة السجدة [١٧] .

(١) سورة الزمر [٥٦] .

(٢) ذكره ابن رجب في لطائف المعارف (ص ٢٤٠) .

وودعوا شهركم بالعزم على دوام الجدِّ والتشمير، وابكوا عليه بالأحزان
وودعوه، وأسيلوا لفراقه الدموع وشيعوه، فريما بعد يومكم هذا لا تلقوه ولا تقابلوه،
وربما لا تصوموه ولا تقوموه .

أيها المؤمنون! فاشكروا الله على إتمام رمضان، وعلى حسن الصلاة فيه
والقيام، وعلى الصحة والعافية في الأبدان، وليس باللسان فقط، وإنما بالأقوال
والأعمال؛ فإن الله قال في آخر آية الصيام: ﴿ **وَاللَّكْبَرُهَا اللَّهُ فَلَهُ مَا هَدَاكُمْ وَهَدَاكُمْ
نَشْكُرُونَ** ﴾^(١)، وقال: ﴿ **هَادِنَا رَبُّكُمُ لِنَشْكُرْكُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ** ﴾^(٢). وقال: ﴿ **وَسَيَجْزِيهِ اللَّهُ
الشَّاكِرِينَ** ﴾^(٣). نسأل الله - تعالى - أن يجعلنا من المقبولين، والحمد لله رب
العالمين.

(١) سورة البقرة [١٨٥].

(٢) سورة إبراهيم [٧].

(٣) سورة آل عمران [١٤٤].

سؤال الحلقة
كتب عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - لولاته في الأمصار، يأمرهم بعد
رمضان ب.....

١ الاستغفار

٢ التوبة

٣ مواصلة الصيام

روحانية صائمه

[٢٩]

غدًا نشرق شمس العيد

شاهد

الحمد لله الرحيم الرحمن، وصلى الله وسلم على محمد، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد: إخوة الإيمان! غدا ستشرق شمس العيد، فلتشرق معها شفاهكم بصدق البسمة، وقلوبكم بصفاء البهجة، ونفوسكم بالمودة والمحبة 🐦 جددوا بين الأصدقاء أو اصر الحب والمحبة، والتراحم بين الأقرباء، والتعاون بين الناس جميعاً، ففي العيد تتقارب القلوب على الود، وتجتمع على الألفة، ويتناسى ذوو النفوس الطيبة أضغانهم، فيجتمعون بعد افتراق، ويتصافحون بعد انقباض 🐦 ويتصافون بعد كدر، فتكون الصلات الاجتماعية أقوى ما تكون حباً ووفاءً وإخاءً .
(لنتعرف على آداب العيد تعالوا نستمع الى هذه المحاضرة بعنوان آداب العيد)

ويكدر تلك المعاني حالات من التقاطع والتدابير، والشحناء والتحاسد بين بعض الأقارب، وربما بين الإخوان الأشقاء، بل سمعنا عن خصومات بين آباء وأبناء، وقد تصل إلى حد الهجران، وربما لأشهر أو سنوات، وقد يكون من أجل دنيا دنية، وفي البيوت أسرار وخفيات، وفي المحاكم خصومات، والعيد فرصة ومناسبة سعيدة، يجب أن تستغل لجمع القلوب، ورأب الصدع، وصفاء النفوس، فالعيد ليس ثوباً جديداً،

روحانية صائغ

بل قلوب بيضاء، ونفوس صافية صادقة، وكم في العلاقات الأسرية من صور الشحناء وامتلاء الصدور؛ والذي ربما وصل للهجر، استجاب هؤلاء لأهوائهم ولشياطين الإنس والجن، وما علموا خطورة هذا وشناعته!!.

اسمعوا يا من تقاطعتم وتدابرتم - فغداً ستشرق شمس العيد وربما أنتم في هجران- اسمعوا قول الرسول ﷺ يقول: ((لا يجِلُّ لمُسلمٍ أن يهجر أخاه فوق ثلاث، فمن هجرَ فوقَ ثلاثٍ فماتَ دَخَلَ النارَ))^(١).

وعن أبي خراش السلمي رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ((من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه))^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل عبدٍ لا يشرك بالله شيئاً، إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا))^(٣).

هياً اصطلحا فغدا ستشرق شمس العيد، فلا نريد أن يكون الهجران، فهجر المسلم لأخيه أمر عظيم ❁ فاتقوا الله عباد الله، واعضوا واصفحوا، وتحابوا وتواصلوا، ولتكن مثل هذه المناسبات فرصة للمراجعة والمسامحة، فمشاعر العيد

(١) رواه أحمد . وأبو داود في الأدب، باب فيمن يهجر أخاه المسلم. وصححه الألباني في صحيح أبي داود (ح٤١٠٦).

(٢) رواه أحمد. وأبو داود في الأدب، باب فيمن يهجر أخاه المسلم. وصححه الألباني في صحيح أبي داود (ح٤١٠٧).

(٣) رواه مسلم في البر والصلة والآداب، باب النهي عن الشحناء والنهجر .

تغسل درن النفوس فتصفو، وتعطر ابتسامات العيد القلوب فتجلو، واعلموا أن أجر العفو عظيم، وحسبك أن الله تكفل به فقال: ﴿ **فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ** ﴾ (١).

برُّوا آباءكم، وصلوا أرحامكم، ومن هجر فليصل من هجره، وليبدل أسباب الوصال، وليبدأ هو بالسلام؛ لينال الخيرية كما قال عليه الصلاة والسلام: ((**لَا يَجِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ**)) (٢).

فإن قلت: إنه لم يقبل، ولم يرد عليَّ السلام، فأقول: حسبك ما فعلت، وباء هو بالإثم .

إخوة الإيمان! غدا ستشرق شمس العيد فلا تهاجروا، ولا تدابروا، بل تواصلوا، وتزاورا 🌟 وحتى لا تكون مجالسنا وتهانينا مجرد عادة أو ترديد، فإني أذكركم في هذا العيد السعيد، الذي يكثرفيه التزاور والتجالس، والتواد والتحاب، أذكركم بالحديث الذي يرويه النبي ﷺ عن ربه - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - قال: ((**وَجِبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَادِلِينَ فِيَّ**)) (٣).

(١) سورة الشورى [٤٠] .

(٢) رواه البخاري في الأدب، باب الهجرة. ومسلم في البر والصلة والآداب، باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي .

(٣) رواه الإمام أحمد. والإمام مالك في الموطأ في الجامع، باب ما جاء في المتحابين في الله .

فهي تزاوروا في الله لتجرب لكم محبة الله، فيا لله ما أعظم هذا الدين! وما
أعظم حرصه على جمع القلوب 🐦 والتواد والمحبة والوئام، حتى الجلسات
والزيارات عبادة تكتب فيها الحسنات، إنها معاني العيد شعيرة الإسلام، يوم تعقلها
الأفهام، فلنتقياً حقيقة هذه المعاني .

غدا ستشرق شمس العيد فيها لننشر الحب بيننا، ولنظهر قلوبنا، فإن الله
يحب الأتقياء الأنقياء 🐦

اللهم طهر قلوبنا من النفاق، وأعيننا من الخيانة، وألسنتنا من الكذب والمراء
والجدل. وجنبنا الوقوع في الأعراض .

رمضان:

اليوم منك عرفت سرَّ وجودي وعرفت من معنك معنى العيد
الآن أعرف ما الحياة، وطيبها وأقول للأيام طبت، فعودي
عاد الربيع على يدك، وأشرقند روعي، وأورق في ربيعك عودي

لله درك يا رمضان! أشرقت الروح عندما أقبلت، فهي - إخوة الإيمان-

استثمروا هذه الإشراق قبل أن تنطفئ، خاصة ونحن في آخر رمضان، وعن قريب
سيودعنا، وما دامت الأرواح قد أشرقت فيه فهي لاستثمار هذا الإشراق، لقد ذقنا
حلاوة الروح، لقد اشتعلت الروح، لقد بدأت الروح تنطلق في كل مكان، نعم إنه
شهر الروح فلما أشرقت الروح كان لزاماً علينا أن نحرض على إشراقها وأن

روحانية صائغ

نحافظ عليه، فهيا قبل أن تنطفئ، هيا لنحرص على الاستمرار في الأعمال، هيا لنصوم ستاً من شوال، ولنواصل قراءة القرآن، ولنحافظ على صلاة الوتر والقيام، ولنعلم - إخوة الإيمان- أن رب رمضان رب بقية الشهور والأيام، فهيا داوموا على الأعمال، فقليل دائم خير من كثير منقطع، وأحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل .

فلا نريد أن نخسر هذا، غداً أو بعد غد ستشرق شمس العيد فلنحرص على صفاء النفوس، ولنحرص على اللقاء، ولنحرص على إصلاح ذات البين فإنها عبادة من أعظم العبادات 🐦 يقول ﷺ لأصحابه: ((أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟)) قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: ((إِصْلَامُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ))^(١).

نعم إصلاح ذات البين، فهل حقاً نحن نحرص كل الحرص على إصلاح ذات بيننا، غدا ستشرق شمس العيد فهيا لنجمع القلوب ونصلح بين كل اثنين نعرف أن بينهما تخاصم وتهاجر 🐦 ما أجمل هذه العبادة! إصلاح ذات البين، تلك العبادة التي غفل عنها كثير من الناس، ما أجمل أن نتذكرها في هذه المناسبة السعيدة، العيد السعيد، نعم نريد أن تشرق شمس العيد ونحن على صفاء ونقاء، وعلى اجتماع الكلمة، وعلى حب ووثام فيما بيننا 🐦

(١) رواه أبو داود في الأدب، باب في إصلاح ذات البين (ح٤٩١٩). والترمذي في صفة القيامة، باب فضل صلاح ذات البين (ح٢٥٠٩) وقال: حديث صحيح. وصححه الألباني في صحيح الترمذي (ح٢٠٣٧).

اللهم كما بلغتنا شهر رمضان فاجعل عامه علينا من أبرك الأعوام،
وتقبل منا ما قدمناه من الصيام والقيام، واغفر لنا ما اقترفناه من التقصير
والآثام .

سؤال الحلقة

جاء في الحديث القدسي عن رب العزة: ((وَجَبْتُ لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ،
وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ)) .

١ مغفرتي

٢ جنتي

٣ محبتي

[٣٠]

أهازيج العيد

شاهد

(تعالوا نستمع ونشاهد خطبت العيد للعام ١٤٣٦ هـ بعنوان أهازيج العيد)

الحمد لله ما هبت نسيمات العيد تنشر في الكون عبير الفرح والسرور، الحمد لله ما أقبل العيد ليملاً قلوب المؤمنين بالبشر والنور، الحمد لله ما أشرق قلب بالإيمان وأزهر، والحمد لله أضعاف ذلك وأكثر . الحمد لله كلما لمع بارق وأمطر، الحمد لله كلما ترعرع ورد وأزهر، الحمد لله كلما غرد طائر وصر، الحمد لله كلما أورق شجر وأثمر، الحمد لله ما صام صائم وأفطر، والصلاة والسلام الأتمان الكملان على هادي الخلق وسيد البشر، نبينا محمد وعلى آله وصحبه السادة الغرر.

أمة الإسلام! من القلب أزف إليكم أجمل التهاني بالعيد السعيد، ومن القلب أسأل الله أن يحقق لكم أعظم الأمنيات، بعمر مديد، وعمل صالح سديد، فعيد سعيد، وكل عام وأنتم بخير، وتقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال، واعلموا أن العيد السعيد عبادة وتوحيد، وشكر لرب مجيد، وتعظيم للخالق المبدئ المعيد



روحانية صائغ

العيد السعيد..رحمة من الكبير للصغير، ومن الغني للفقير، العيد



السعيد.. ابتسامة وصفاء، وحب وإخاء، ولقاء وتجديد

العيد السعيد.. نور يشع في كل ذي قلب رشيد، وفرح وابتهاج ونشيد فهيّا

نجعل من عيدنا عيداً بحق، هيا نفرح بالعيد كما ينبغي؟ هيا نُشعر كل أحد أن


لنا نحن المسلمين عيداً مميزاً؟ هيا نوسع على أهلنا وأطفالنا بالعيد، فإن في



ديننا فسحةً، وفيه يسرا وسعةً

أين السواعد الفتية من استثمار الاجتماعات العائلية؟ واللقاءات الأسرية؟

ببرامج ترفيهية؟ لم لا نجعل من عيدنا في بيوتنا، بل وأحيائنا ومساجدنا

ومحافظاتنا عيداً متميزاً  أين الهدايا الجميلة؟ أين الحلوى والتهنئة؟ أين

هدية الابن لأمه وأبيه في صبيحة العيد؟ أين تبادل الهدايا بين الأزواج؟ أين هدايا

الأولاد والصغار؟ أين الهدايا الخاصة للزوار والمهنئين، كم لهذه الهدايا اليسيرة

بدون مبالغة ولا تكلف أثرها على النفوس ومودتها. بل لم لا يكون للمدارس

والجمعيات والمؤسسات دور في إظهار فرحة العيد ببرامج مفيدة، وألعاب ومسابقات،

ولقاءات وجلسات خاصة في أيام العيد الأولى؟ لم لا تتنافس المدارس في مثل هذا؟ لم

لا تقوم مدارس القرى والهجر بإظهار فرحة العيد؟ لم لا يظهر هذا كله في

أعيادنا؟ لماذا أصبح العيد عند البعض إما أن يرتبط بالحرام كالغناء والتبرج

والاختلاط، وإلا فلن يكون للعيد طعم كما يقولون؟.

روحانية صائغ

إن بإمكاننا أن نجعل العيد فيه من الفرح والسرور، والأنس والسعادة بعيداً عن معصية لله؟ بل على العكس قريبةً وتعبدًا ؟ 🐦 فأين مفاتيح الخير؟ أين الجادون العاملون؟ أين أصحاب الأفكار والابتكارات؟ أين أصحاب المؤسسات والمحلات من التجديد، والنافع المفيد، ليكون العيد حقاً سعيداً، فرح وسرور يرضي العزيز الغفور .

إنه العيد السعيد..شكر وعبادة، وفرح وسعادة، فلنستشعر هذا المعنى، فهنا يكون العيد سعيداً، هنا نبدد اليأس والقنوط تبديداً، هيا لنعلنه قريباً وبعيداً، فلا شيء يدمر القدرات والطاقات مثل الإحساس بالعجز وال فشل الشديد، ولو أنا قتلنا كل فرحة حتى فرحة العيد، وأطفأنا كل بسمة حتى بسمة السعيد، لأعدمنا ابتسامة الفجر الوليد، وليس معنى هذا أن ننسى الآمنا، لكن المناسبة مناسبة لتجديد آمالنا..

نسيت وفي دمى ألمي نسيت ولست بالناسي
نسيتُ لأنني أبصرتُ ما يسلبه الآسي
أتيت لكي أبشركم بمصرع ليلنا القاسي
وأسمعكم بلابل عزّ ة نشدو بأنفاسي

عيد المسلمين ليس عيد فرد ولا عيد شعب، وإنما هو عيد أمة، أمة مسلمة تنتشر في أصقاع المعمورة 🐦 وتضم شعوباً متباينة الأصول واللغات واللهجات، تجمعها أخوة الدين، وروابط العقيدة والتوحيد، وفي العيد تتأكد معاني الأخوة

روحانية صائغ

والتلاحم، والتعاطف والتكاتف؛ يستشعر المسلم في كل مكان عيد إخوانه
ويعيش همهم بكامل وجدانه، فأخُوُّه وإيمانه، ورحمته وإحسانه، تدعوه لأن
يتذكر زوجاتٍ لا يعرفن الحنان، وأطفالاً لا يعرفون عن العيد سوى الآلام
والأحزان، هاهي طفلة مسلمة من فلسطين أو الشام، أو غيرها من بلاد الإسلام،
فكلها مليئة بأطفال وأيتام، كلهم يصرخون بأهل الإسلام، هاهي طفلة ترسل
تهنئتها في هذا العيد إلى من يسمعها من صغار الأمة الإسلامية فتقول:

" عذراً أيها الصغار! فقد حدثني الكبار: أنكم في عيد، يا ترى ما هو العيد، فهذا عليّ
جديد، فعيناي لم تر سوى الحديد، ولم أسمع إلا الوعيد .

حدثني الكبار: أنكم في العيد، تلبسون الجديد، وثوبي وأسماي لها زمن مديد.
حدثني الكبار: أنكم تلعبون بالألعاب، وتأكلون الحلوى، وأنا دمعتي هي السلوى،
وألعابي هي البلوى .

حدثني الكبار: أنكم في العيد تذهبون مع الآباء والأمهات، أما أنا فلا أم ولا أب ولا حتى
أخوات .

حدثني الكبار: أنكم في العيد تمرحون جماعات، أما أنا والصغار هنا فشتات في شتات .
حدثني الكبار: ...آه فقد نسيت عذراً يا صغار، أردت تهنئتكُم بالعيد فغلبنى همي
الشديد، يا صغار عذراً، عيد سعيد فلا أريد المزيد، فهذه حال الشريد، وعلى كلِّ عيدٍ
سعيدٍ، اقبلوها من طريد . اقضوا مع الألعاب يوم العيد، فلقد قضيتُ مع المدافع عيدي .